تأملات سينمائية

(الفن السينمائي والفكر الإنساني)

معتز عرفان

الفهرس

الفصل	رقم الصفحة
مقدمة	
السينما والسريالية	
السينما والوجودية	
السينما والفلسفة	
السينما والموت	
السينما وفن الرواية	
السينما وفنون أخري	
السينما والصراع الداخلي	
السينما ولغة الحوار	
السينما والتوثيق	
السينما والعاطفة	

مقدمة

يناقش هذا الكتاب الكثير من الأمور المتعلقة بالسينما, ويهتم بالمحتوي الفكري الخاص بالأفلام السينمائية, والرسائل الفكرية, والفنية التي تحملها, وتحاول أن تقدمها إلي المشاهد المحلي, والعالمي.

يعتمد هذا الكتاب علي الخواطر, والتأملات الفنية, والتي من شأنها أن تناقش الكثير من الأفكار المتعلقة بالسينما بشكل موسع, وانسيابي ليناسب هذا العمل الفكري المتخصص, وغير المتخصص في نفس الوقت.

كما يفصل العلاقة بين السينما من جهة, والسريالية, والوجودية, والعبثية, والفلسفة, والدين, والحياة, والموت, والجنس, وغيرها من العناصر المتعلقة بالحياة البشرية, والمؤثرة بالإنسان, والمهيمنة علي فكره, والمسيرة لحياته من جهةٍ أخري.

تؤثر السينما بالإنسان, وتعمل علي تنمية حواسه الفنية, والفكرية كما تسمح له بأن يجد متنفساً كبيراً ليتخلص من مسئولياته الحياتية, واليومية لفترة محددة, ومميزة. بالطبع تعمد السينما إلي الصورة, والصوت, وتستخدمهما بشكل رئيسي لنقل الفكرة, والمحتوي الفني المنشود.

تُعد اللغة المرئية المعتمدة علي الصورة أقوي الوسائط الفنية المؤثرة بالإنسان, وأكثرها شعبيةً وانتشاراً. كما يسعد المشاهد كلما كان الصوت أوضح, والصورة أفضل لأنه بذلك ينعم بتجربةٍ أفضل, وأغني علي كافة الأصعدة التقنية, والفكرية إذا ما توافق ذلك مع قوة, ونضج المحتوي الفكري المُقدم, والأسلوب الفني المعروض.

لقد شهدنا الكثير, والكثير من المحتويات الفنية المعروضة, والمُقدمة عبر تاريخ السينما, والتي تتنوع, وتختلف من حيث القوة التقنية, والفكرية بل تعبر عن اختلاف كبير بين المواهب السينمائية المتمثلة في المخرجين, والمصورين, والمنتجين, والممثلين,....إلخ

نتعرض من خلال هذا الكتاب إلي الكثير من المحاور الهامة المرتبطة بالمحتوي الفكري الخاص بالفيلم, والفلسفة الفكرية القائم عليها, والتي من شأنها أن تنجح في نقل قيمة فنية محددة إلي المشاهد, والمتفرج.

نتأمل معاً الأعمال الفنية لعدد من المخرجين, ونتنقل بين أساليبهم التقنية, والفكرية, والفنية, والأسلوبية, ولا نتوقف عند ذلك بل نتنقل بين الأفكار النابعة من فنونهم, والموجات الفنية القائمة في عصورهم, والمنتشرة بين أجيالهم.

بالطبع نضع السينما كمحور رئيسي لحديثنا عبر هذا الكتاب, ونربطها بالكثير من المحاور المختلفة, لنبرز التطور الخاص بهذه المحاور عبر الفن السينمائي, والإنتاج الفني. كما نقدم الكثير من التفاصيل الخاصة بهذه المحاور, ونظهر أهم النقاط المتعلقة بها, لنشكل في النهاية صورةً كليةً واضحةً, ومميزةً.

نعتمد في هذا الكتاب علي ذكر الكثير من الأسماء المشهورة, والمعروفة دون الالتزام بإطار زمني محدد؛ لنسمح لأنفسنا بسرعة التنقل بين الأفكار التي نرغب في عرضها دون التقيد بالزمن, و لنقدم الفكرة المرجوة بأفضل صورة ممكنة, ومتاحة.

الفصل الأول
السينما والسريالية

تمثل السريالية الدمج بين الواقع, والخيال, والعمل علي تقديم هذا المحتوي ضمن إطار محدد يضعه المخرج, ويعمل علي تطويره. كما تعمد السريالية إلي الجنوح إلي ما فوق الواقعية, ومحاولة الوصول إلي اللاوعي, والأفكار المتناثرة الكامنة بدواخل النفس البشرية. كما تهتم باستخدام صور صادمة, وكادرات فنية متناثرة خارجة عن الإطار السردي الخاص بالحبكة؛ لتخلق في النهاية حالة من الصدمة يتلقاها المشاهد بشكل تشمله النشوة, والذهول.

لقد بدأت السريالية في الظهور في العقد الثاني من القرن العشرين, وتطورت بعد ذلك لتعبر عن أفكارها بشكل ثوري, يهدف إلي التمرد علي القواعد السينمائية المعهودة, ويسمح للمخرجين بالحصول علي مساحة واسعة من الإبداع, والتعبير.

يعتبر الكثيرون المخرج الإسباني "لويس بونويل" الأب الروحي للسينما السريالية, والمؤسس الأول لها. وقد قدم بونويل في عام 1929 فيلمه الشهير "كلب أندلسي" بالتعاون مع الفنان السريالي الشهير سلفادور دالي, وحقق الفيلم نجاحاً باهراً وقتها. يعتمد الفيلم علي الأحلام الخاصة بلويس بونويل, وسلفادور دالي, ويعبر عن أفكارهما بشكل استثنائي, وصادم؛ ليعرض علي المشاهد تجربةً سينمائيةً جديدةً, ومميزةً.

يحتوي الفيلم علي كادراتٍ غريبةٍ مثل لقطة عجيبة لغيومٍ مارةٍ بجوار القمر, وصورة لشفرة حلاقة قاطعةٍ لعين بشرية, وغيرها من المشاهد الغريبة المستمدة في الأساس من أحلامهما.

في عام 1967, قدم بونويل فيلمه "جميلة النهار", وهو فيلم سينمائي شهير من بطولة الممثلة الفرنسية الجميلة كاترين دونوف, وميشيل بيكولي, ويهتم الفيلم بعرض قصة السيدة سيفرين التي تعيش مع زوجها في حالة من البرود, واللامبالاة. تحاول سيفرين الخروج من حالة البرود المهيمنة علي حياتها, والقابعة في روحها؛ لتتمرد علي القواعد المجتمعية, ولينتهي بها الأمر إلي العمل بماخور سري في أحد الأزقة الباريسية هناك. تعمل سيفرين أثناء فترة النهار, وتأخذ فترة مطولة حتي تعتاد الأمور هناك, لتصبح بعد ذلك خبيرةً بالمجال, بينما يعيش زوجها في عالمه الخاص.

تتابع الأحداث ضمن إطار سريالي واضح يعرضه بونويل بشكل استثنائي, وعظيم. كما تظهر لقطات فجائية, وصادمة, ليخرج بونويل عن الإطار السردي الخاص بالحبكة, وليستخدم الدافع السريالي كالوسيلة الوحيدة المبررة لخروجه عن النص المعهود, والإطار السردي المعروض.

بالطبع يعرض بونويل قصته ضمن إطار منطقي واضح, مستخدماً موهبته الفريدة, ليدرج سرياليته الخاصة به دون الإخلال بالمحتوي الكلي الخاص بالسرد. كما يستخدم بونويل كاترين دونوف كعامل رئيسي, وفعال بالفيلم, معتمداً علي موهبتها التمثيلية, وجمالها الخلاب؛ ليضفي علي الفيلم إطاراً صورياً مميزاً للغاية، مستخدماً الأسلوب الفجائي الخاص بالسريالية, والأفكار الثورية الخاصة بمحتوي القصة نفسها.

في عام 1972, قدم بونويل فيلمه المميز "سحر البرجوازية", وهو فيلم سينمائي يعتمد بشكل واضح علي حبكة عبثية تقوم علي المحاولات المتكررة لمجموعة من أفراد الطبقة المتوسطة, والتي من شأنها أن تمكنهم من الاجتماع سوياً من أجل تناول وجبة العشاء معاً.

يعرض الفيلم الكثير من اللقطات الغريبة, والتي تظهر الأمور بشكل عكسي, وغير تقليدي عبر الاستخدام المفرط للعنصر السريالي, والذي يدمج بطبيعة الحال بين الواقعية, والخيال. كما يناقش الفيلم طبيعة البرجوازيين, والأجواء المحيطة بهم, ويسمح للمشاهد بالتعرض للكثير من المواقف الظريفة, والغريبة والتي من شأنها أن تجذب انتباهه, وتثير حواسه.

كما قدم بونويل في عام 1974, فيلمه السينمائي "شبح الحرية", وهو فيلم مميز يقوم بشكل رئيسي علي التسلسل السريالي للأحداث, والتشكل التدريجي الصادم للكادرات الفنية, ليسمح لبونويل بعرض فكرته القائمة علي نقد المجتمع, ومناقشة الأخلاقيات الخاصة به في أفضل صورة ممكنة. لم يكتف بونويل بهذا الفيلم فحسب, بل أتبعه في عام 1977 بفيلمه الأخير "الجانب الغامض للرغبة", والذي يعرض من خلاله المواجهات القاسية بين الواقع, والوهم, والصراع الأزلي بينهما.

كما يعرض الملذات, والرغبات, والصراع القائم في ذهن شخصيته الرئيسية "ماتيو", والتي يجسدها الممثل الإسباني فرناندو راي بشكل رائع, ومميز. بينما تلعب شخصية "كونشيتا" أنجيلا مولينا, وكارول بوكويت في دور مزدوج, ومزعج لشخصية "ماتيو".

يحاول ماتيو الحصول علي كونشيتا بكل الطرق لتظهر له الفتاة بشكل متغير, ومتلون علي طول الطريق. حيث تظهر له كونشيتا في ثوبين مختلفين؛ أحدهما ملائكي, والأخر شيطاني لتسبب له الكثير من البلبلة, والاضطراب, وليخرج عن شعوره في نهاية المطاف.

بالطبع يعرض بونويل فيلمه بشكل اندماجي ليسمح للسريالية بأن تنساب إلي الدراما الخاص بالحبكة, وليخلق لنفسه متنفسه المعتاد, والمميز ليصنع في النهاية فيلماً سينمائياً مميزاً, بينما يلتقط أنفاسه الأخيرة.

تستمد السريالية روحها من الخيال, وتسمح لمتبعها بمساحة فنية واسعة, ورحبة؛ ليقدم أفكاره الخاصة به بشكل انسيابي, وخلاق. لقد تطورت السريالية السينمائية عبر العقود المتتابعة لتشمل الفنتازيات, وتلك الأفلام المتلاحقة التي ظهرت فجأةً, وأصبحت محببةً من قبل الكثيرين, لتندرج في نهاية المطاف تحت بندي الفنتازيا, والسريالية.

يُعد المخرج الأمريكي تيم برتون سيد الفنتازيا, ولقد عمل برتون علي الكثير من الأفلام التي تدمج بين الواقع, والخيال لتنتج في النهاية إطاراً فنياً مميزاً ذا أسلوبٍ خاص. كما يُعد الممثل الأمريكي الشهير جوني ديب الحليف الأهم, والأشهر في مسيرة برتون, ولقد عمل معه من خلال أفلام كثيرة مثل إد وود, وإدوارد صاحب المقصات, وسويني تود, وسليبي هولو, وغيرها من الأفلام العظيمة, والتي دمجت بين الخيال, والواقع بشكل أسير, ومميز.

تعتمد أفلام برتون علي الفنتازيا بشكل واضح لكنها تأخذ الجانب السريالي من خلال الدمج بين الواقع, والخيال وهو ما يحدث في عدد من هذه الأفلام بشكل مختلف تماماً عن بونويل أو بمعني أصح عن التطبيق الكلي, والتقليدي المُتبع من قبل رواد المدرسة السريالية, حيث أنه يهتم بعملية عرض الخيال بشكل أكبر من عملية الدمج بينه وبين الواقع لكنه في نفس

الوقت لا يتخلي عن فكرة الدمج بل يمارسها في العديد من المشاهد والكادرات السينمائية الفنية.

في فيلمه "أليس في بلاد العجائب", يستمد برتون سرياليته من الأحجام, والأشكال الغريبة للشخصيات, والتي تجعل المشاهد يشعر وكأنه منغمس في حلم أو في تسلسل مبني بشكل أساسي علي الخيال. هنا يدمج برتون بين الجسد البشري بمواصفاته المعهودة من جهة, وبين الخيال من جهةٍ أخري, وفي نفس الوقت يخلق درجةً من التغير في بعض أجزاء الجسد البشري ليخلق شخصياتٍ مختلفةٍ بطبيعة الحال.

هنا تظهر عملية الدمج بين الواقع, والخيال ليخلق لنفسه عالمه السريالي الخاص. كما تظهر سريالية برتون في أفلامه الأخرى بشكل مبني علي الفنتازيا, والخيال مثل المقصات التي يضيفها إلي شخصية إدوارد, والجنون الذي يضفيه علي شخصية سويني تود, والرأس المختفية لإحدي شخصيات سليبي هولو, وغيرها من الأمثلة والتي من شأنها أن تصنع العالم السريالي الخاص بالمخرج الأمريكي تيم برتون القائم علي الدمج بين الواقع, والخيال.

قد ترتبط السريالية السينمائية بالغرائبية, وإدراج الجانب الغرائبي إلي الحبكة الفيلمية, ومن الممكن أن نشهد هذه الخلطة الفنية من خلال أعمال المخرج الشهير رومان بولانكسي, ودعنا لا ننسي فيلمه "البوابة التاسعة" والذي أنجزه مع جوني ديب أثناء وجوده في أوروبا, لنحصل في النهاية علي فيلم غريب بشكل رئيسي, سريالي بشكل جزئي.

يستمد الفيلم سرياليته من خلال الرحلة التي يخوضها المهووس بالكتب "كورسو", والذي ينطلق عبر رحلة شيطانية بهدف جمع ثلاثة كتب مكتوبة بواسطة الشيطان نفسه. وتظهر في الفيلم زوجة بولانسكي إيمانويل سينيه, ولينا أولين, وفرانك لانجلا ليقدم بولانسكي في النهاية فيلماً غريباً وسريالياً إلي حد كبير.

هنا تظهر السريالية في أعين الفتاة المتلونة, وحركاتها العبثية, وظهورها المفاجيء في الكادرات. كما تظهر من خلال الاضطرابات غير المبررة

التي تشهدها الكادرات السينمائية الخاصة بالفيلم لينجح بولانسكي في النهاية في خلق بيئة سريالية غريبة, ومميزة.

تُعد أعمال المخرج ديفيد لينش سرياليةً إلي حد كبير. فعندما ننظر إلي فيلم "مالهولاند درايف", فإننا بصدد التحدث عن فيلم سينمائي مليء بالسريالية, والدمج بين الواقع, والخيال. هنا نجد شخصيتا ناعومي واتس, ولورا هرنج منغمستين في حالة من التأرجح بين الواقع, والخيال, والاندماج في عالم يشبه عالم الأحلام.

يستمد الفيلم سرياليته من خلال التنقل الغريب بين الأحداث, ولا يتوقف الأمر عند ذلك فحسب, بل تشعر وكأنك تشاهد فيلماً بداخل فيلمٍ أخر. تشعر وكأن القصة تنساب لتتكون قصة أخري جديدة, ومختلفة. كما تتحقق السريالية بشكل واضح من خلال إدراج بعض العناصر الغريبة داخل الإطار الكلي للفيلم.

لقد أحدث هذا الفيلم ضجةً كبيرةً في هوليوود, لأنه قد أظهر نوعاً جديداً من صناعة الأفلام, ولم يتوقف عند ذلك فحسب بل أعطي دفعةً كبيرةً للمسيرة الفنية الخاصة بكل من لينش, وواتس.

من المخرجين السرياليين أيضاً, المخرج الأمريكي تيري جيليام, والذي أظهر جانبه السريالي من خلال عدد كبير من أفلامه مثل فيلم الخوف والبغض في لاس فيجاس.

في هذا الفيلم, ينطلق الصحفي الغريب راؤول دوك, وصديقه المحامي السيكوباتي دكتور جونزو في رحلة عبثية إلي لاس فيجاس، محملين بالعديد من الأنواع المختلفة للمخدرات, والمهلوسات ضمن إطار عبثي يرصده جيليام, ويجسده جوني ديب مع فريق من الممثلين يتضمن كل من بينيشيو ديل تورو, وتوبي ماجوير, وكريستينا ريتشي, وكاميرون دياز.

يعتمد الفيلم علي الرواية الشهيرة للصحفي هانتر اس طومسون، والتي تحمل نفس الاسم، وتعتمد علي إظهار الجانب السلبي للمخدرات، وفِي

نفس الوقت تظهر قدراً كبيراً من السخرية فيما يتعلق بالحلم الأمريكي والأوهام المتعلقة به.

في العمق، يسخر الفيلم من فكرة الحلم الأمريكي واصفاً إياها بالوهم, ومصنفاً المؤمنين بها بالسذج. لقد بدأت فكرة الحلم الأمريكي كفكرة هادفة جميلة مفعمة بالبهجة, والأمل, والتفاؤل، لكنها دُمرت في النهاية نتيجة التكالب, وفقدان الأخلاق, وانهيار القيم والمبادئ من أجل المادة.

أدت المادية المبالغ فيها إلي انهيار الأخلاق, وأدي التكالب علي المادة إلي إنهاك الأرواح، وفقدت الفكرة مثاليتها الزائفة سريعاً لتسقط طريحة الأرض؛ هي, وكل أتباعها الحالمين سابقاً، المتكالبين لاحقاً.

تسيطر الهلاوس, والأوهام علي دوك, وجونزو بشكل غير عادي مانحةً جيليام القدرة علي خلق بيئة سريالية مميزة قادرة علي الدمج بين الواقع والخيال، ومفعمة بالإبداع, والتميز.

يمنح السيناريو المميز تيري جيليام القدرة علي الإبداع, وخلق شخصيات عميقة, ومميزة، وفِي نفس الوقت ينجح ديب في خلق شخصية مميزة, وهامة مانحاً رواية طومسون قدراً كبيراً من الانتعاش، ليضخ الدماء في عروقها ببراعة, وليعيدها إلي طاولة النقاش الفني من جديد.

من الأمثلة الأخري علي السينما السريالية, فيلم "ماجنوليا" لبول توماس أندرسون والذي يستمد سرياليته في إطار محدود من خلال أحد المشاهد المميزة للغاية, والذي يشمل تساقطاً سريعاً للكثير من الضفادع من السماء لتنزل بشكل كثيف علي المدينة, ولتملأها بدرجةٍ كبيرةٍ من الريبة, والاضطراب.

أيضاً, دعنا لا ننسي اللقطات السريالية في أفلام المخرج الإيطالي فيدريكو فيلليني, والتي من شأنها أن تخلق إطاراً سريالياً مبنياً علي إدراج عناصر غريبة, ومريبة ضمن الإطار العام للقصة المعروضة. ومن الممكن أن

نشهد مثل هذه الأمور بوضوح من خلال فيلمه الشهير "ثمانية ونصف" والذي حقق شهرةً كبيرةً فيما بعد.

الفصل الثانى
السينما والوجودية

تمثل الوجودية تياراً فلسفياً مبنياً علي فكرة حرية الإنسان التامة وتفرده. تؤكد علي حريته التامة في التفكير دون أي قيود، كما تؤكد علي عدم احتياجه إلي موجه أو قوة خارجية تحركه.

لقد عانت الحركة الوجودية من اضطراب واضح, وتذبذب متكرر، مما أدي إلي نيل الضباب منها ليحيطها إحاطةً شبه تامة. لم يعط أحد من فلاسفتها تعريفاً واضحاً لها، ولم يصلوا معها إلي نتيجة مؤكدة، وقد انبثقت منها حركات أخري مثل العبثية لكامو.

يمثل كيرجورد, ونيتشه, وسارتر, وهيدجر أعلاماً أساسيين, ومحوريين بين أعلام المدرسة الوجودية الباحثين باستمرار عن معني الحياة, وهدف الوجود الإنساني, والكثير من الأمور الأخري المتعلقة بذلك, بينما خرج كامو متحدثا عن عبثية هذا الكائن المحدود.

ولقد تحدث سارتر عن "تجربة الغثيان", والتي تعمد إلي حقيقة زوال كل شيء, وتمكن الفناء من الإنسان مما يدفعه إلي شعور أشبه بما يصاحب الغثيان. كما استخدم الوجوديون مصطلحات عديدة في حواراتهم مثل الكينونة, والسيرورة, والصيرورة, والأنطولوجيا, وغيرها. ولقد نجحوا في تكوين لغة خاصة بهم للتسهيل من النقاش بينهم, والوصول إلي النتائج بسرعةٍ, ودقة.

تنقسم الوجودية إلي فريقين أحدهما ملحد (وهو القسم الأكبر), والآخر مؤمن. وقد نتجت الحركة خلال النصف الأول من القرن المنصرم, والذي تشبع بالحروب ونجم عنه ملايين القتلي، فحاولوا البحث عن معني الوجود الإنساني, والغاية الرئيسية من وجوده.

هكذا نكون قد تعرفنا علي الوجودية كحركة فكرية ناشئة, ومهمة لكننا نريد أن نناقشها من خلال الفن السينمائي, ومدي تأثر المخرجين السينمائيين بها, ومحاولاتهم المتكررة لنقل الكثير من الأفكار الخاصة بها إلي الوسط السينمائي, والفني.

في عام 1960, قدم المخرج الفرنسي جان لوك جودار فيلمه السينمائي "اللاهث" من بطولة جان بول بلمندو, وجان سبرج, ومن كتابة فرانسوا تروفو. ولقد عبر الفيلم عن النزعة الوجودية بشكل غير مباشر, وعرضها في إطار واضح أحياناً, ومبهم أحياناً أخري.

يبدأ الفيلم في إطار مليء بالعصابات, والجرائم, لتتابع الأحداث متخذةً إطاراً فلسفياً تارةً, ورومانسياً تارةً أخري. لا يُعد بطل الفيلم وجودياً بالضرورة أو فيلسوفاً ساعياً نحو الحقيقة لكنه وجودي بالفطرة, وفيلسوف بشكل عفوي. تصاحبه الوجودية دون إدراك منه, حيث أنك كمشاهد تشعر بكينونته الساعية نحو الحقيقة.

تشعر طوال الفيلم بحالة الفقدان التي يعيشها البطل وكأنه يبحث عن قيمته في الحياة, وسر وجوده, ومسئوليته القابعة في عنقه. ولعل هذه المواصفات تذكرنا بفيلم جودار, وبلمندو الآخر والذي يحمل عنوان "بيرو المجنون".

لقد صدر فيلم "بيرو المجنون" في عام 1965 بمشاركة الجميلة آنا كارينا مع بلمندو في دور بيرو التائه, والباحث عن الهدف من وجوده علي قيد الحياة. هنا نجد جودار قادراً علي خلق بيئة سينمائية مميزة قادرة علي لفت الأنظار, وجذب الانتباه.

يُعد فيلم جودار "بيرو المجنون" مع بلمندو, وكارينا علامة فارقة في تاريخ السينما الفرنسية. حيث يروي الفيلم قصة بيرو الذي يشعر بالضيق تجاه مجتمعه اللعين الممل، ويقرر فجأةً أن يتخل عن كل شيء، ويغادر باريس متجهاً إلي إحدي الدول القابعة علي سواحل البحر المتوسط مع ماريان "كارينا"؛ عشيقته السابقة, والمُطاردة من قبل بعض القتلة المأجورين.

إنها قصة بسيطة من الخارج، لكن في العمق، تكمن فلسفة وجودية عظيمة يدهشنا بها جودار. حيث يطرح الفيلم الكثير من الأسئلة الفلسفية المدهشة، ويتوغل في الحديث عن معني الحياة. إن منبع جمال هذا الفيلم يكمن في

المحادثات الممتعة بين ماريان, وبيرو، تلك المحادثات العميقة التي تتخللها الفكاهة, وفِي نفس الوقت تحيط بها أحداث بسيطة وعبثية.

دعنا أيضاً, لا ننسي فيلمه مع كارينا الصادر في عام 1962, والذي يحمل عنوان "حياتي لأعيشها", وقد حقق الفيلم نجاحاً كبيراً وقتها.

يُعد فيلم "حياتي لأعيشها" واحداً من أهم أفلام جودار, ويمثل ركناً أساسياً في مسيرة آنا كارينا. تصل مدة الفيلم إلي ساعة وعشرين دقيقةً وقد تعد قصيرة نسبياً لكنها وافية ومناسبة للفكرة, والمضمون.

يتكون الفيلم من ١٢ مقطع، بينها عدة مقاطع من الممكن تصنيفها ضمن إطار "التابلو"، حيث تتضمن تجسيد صامت أو ثابت من قبل الممثلين. كما أننا خلال المشاهدة، نقابل مقاطعاً متصلةً وأخري غير متصلة، يتم توضيحها من خلال مقدمة كلامية سريعة.

يقدم جودار إخراجا سريعاً ومحكماً. ويعرض فكرته بشكل حرفي رائع دون إطالة أو إخلال بالمضمون. حيث يعرض حبكته سريعاً بشكلٍ شيقٍ ومثيرٍ مما يجنب المشاهد الملل, ويساعده علي الاندماج مع تطور شخصية نانا، والتي تؤدي دورها الجميلة آنا كارينا.

يحكي الفيلم قصة امرأة باريسية "نانا", والتغيرات الطارئة في حياتها، والتي تدفعها إلي العمل في بيوت البغاء. يتناول الفيلم القصة بشكل بارع ومحكم واصفاً التطور المصاحب لشخصية نانا, والبيئة الجديدة التي تنخرط فيها.

كالعادة، يمنحنا جودار بعضا من فلسفته الوجودية الأنيقة، مدرجا إياها في واحد من المشاهد التي تجمع نانا "كارينا" برجل عجوز، قاطعته حينما كان منغمساً في القراءة بإحدي البارات. تخبره عن أهمية الحوارات بين البشر، هل الكلام مهم؟ هل يحتاج الإنسان للتعبير عن نفسه دائماً؟ ما الفائدة من ذلك؟ بينما يخبرها الرجل عن أهمية الكلام, وأنه ضروري للتعبير وملء الفراغ.

يحدثها عن بلاتو "تلميذ سقراط, ومعلم أرسطو", وعن تداول كلماته بين الناس بالرغم من عدم معرفتنا الدقيقة بلغته, وبالرغم من حقيقة تلاشيه منذ قرون.

يخبرها عن أهمية الكلمة, وأهمية أن يعبر الإنسان عن نفسه ليفهم البشر بعضهم البعض، حتي لو كان هذا الاتصال مجهداً ومملاً في كثير من الأحيان.

فالكلام هام دون شك حتي ولو كان من المعروف، أنه كلما زاد عدد الكلمات، قل معناها, وفقدت أثرها. كما يخبرها بالحاجة الملحة للكلام, واستحالة الحياة بدونه.

تنخرط نانا في حياة الدعارة البغيضة، منغمسةً في بيئةٍ من البرود واللامبالاة. حينها تتعقد الأحداث, وتصل إلي الذروة، لتُقتل الفتاة "نانا" في النهاية.
في عام 1979, صدر الفيلم الأمريكي "القيامة الآن" لفرانسيس فورد كوبولا, ومارلون براندو, ويُصنف الفيلم ضمن الأفلام الوجودية, حيث أنه يناقش مصير الإنسان, ورحلته السوداوية للوصول إلي الحقيقة. كما يناقش الوجود الإنساني, وتأثره بالحرب, والصراع الدائم بين أجناس البشر المختلفة.

يركز الفيلم علي حرب فيتنام, والآثار السلبية الناجمة عنها, ويعرض الأزمة الوجودية المتعلقة بذلك. كما لا يتوقف الفيلم عند هذه النقطة فحسب بل يشمل الكثير من الموضوعات الشائكة الأخرى.

وفي نفس العام, صدر الفيلم الروسي "ستوكر" لتاركوفسكي ليترك تأثيراً سينمائياً كبيراً علي المشاهدين حول العالم. حيث يناقش الفيلم الرغبات الوجودية, والمعني الذي تقوم عليه الحياة. كما يهتم بعرض الكثير من الأسئلة مثل؛ ما الذي يجعل الحياة هامةً؟ ما هي الحقيقة؟ وما حقيقة اختياراتنا؟ وما حجم إدراكنا؟ وغيرها من الأسئلة الوجودية التي يطرحها الفيلم بسلاسة, وانسيابية من خلال أبطال القصة الثلاثة.

دعنا أيضاً لا ننسي أفلاماً أخري مثل الفيلم السويدي "التوت البري" لإنجمار برجمان, والذي يهتم بعرض الذكريات الخاصة برجل عجوز قد نال الشيب منه, ليأخذنا الفيلم في تسلسلٍ سرديٍ ممتازٍ, وعظيمٍ تحت إشراف المخضرم برجمان.

أيضاً من الأفلام التي من الممكن أن ندرجها ضمن التيار الوجودي فيلم "الهروب" الصادر في عام 2018 من بطولة جيما أرترتون, ودومينيك كوبر, والذي يحكي قصة امرأة متزوجة, وسعيها نحو البحث عن معني الحياة, والهدف من وجودها بعد شعورها مؤخراً بعبثية حياتها, وعدم جدواها.

كما لا يمكننا أن ننسي فيلم "البروفيسور" الصادر في عام 2018 من بطولة جوني ديب, وداني هيستون. وهو فيلم يهتم بعرض الكثير من الأسئلة الوجودية, والتي تطرحها الشخصية الرئيسية بالفيلم "ريتشارد" بشكل غنيٍ, ومثمرٍ علي مدار العمل السينمائي.

الفصل الثالث
السينما والفلسفة

تتمثل الفلسفة في دراسة المشاكل الأساسية التي تتعلق بالعديد من الأمور مثل الوجود, والمعرفة, والقيم, والعقل, واللغة, وغيرها من الأمور الأخري التي تمثل محاوراً أساسيةً في حيوات البشر.

لقد تطورت الفلسفة لتشمل الكثير من الصور عبر العصور, ولتظهر في أطرٍ جديدةٍ علي مدار الطريق, وقد نجحت الكثير من الأفلام السينمائية العالمية في نقل الحكمة, والفلسفة الخاصة بالكثير من المفكرين, والكتاب إلي شاشة السينما لتؤثر هذه الأفكار الهامة, والخلاقة في الكثير من المشاهدين حول العالم.

في فيلم "الحياة الجميلة" للمخرج الإيطالي فيدريكو فيلليني, نجد الفلسفة في قمتها, والحكمة في أوجها من خلال عرض الصراع الدائر حول الشخصية الرئيسية بالفيلم "مارشيلو".

يتناول الفيلم أسبوعاً من حياة صحفي منغمس في إقامة الحفلات, وأنماط المتع المتعددة، محاولاً من بين كل ذلك أن يجد طريقةً ما ليصبح كاتباً جاداً, وهاماً. يتناول الفيلم قصة الصحفي مارشيلو بشكل مُفصل لتقترب مدة الفيلم من حوالي ثلاث ساعات مليئة بالإثارة, والتشويق, والاضطراب تارةً, والاستقرار تارةً أخري.

في واحدٍ من المشاهد, نجد شخصية تدعي "نادية" منغمسةً في حالةٍ من المجون بينما يحيط بها الكثير من كبار الفن, والصحافة لينتهي المشهد بشكل فجائي، بعد حالة من التصرفات الغريبة, والغامضة من قبل الجميع. يتبع هذا المشهد حالة أخري من الاضطراب, والمجون, وعدم الاتزان نتيجة لإسراف الشخصيات في تناول الخمر بكل تأكيد.

نجد مارشيلو متجهاً ناحية واحدةٍ من الفتيات ليخبرها بكلماتٍ عجيبةٍ, وغريبةٍ, وليحيطها بالكثير من الريش في مشهد غريب من ضمن مشاهد أخري كثيرة غريبة, ومريبة علي طريقة فيلليني دون شك.

بالطبع يشارك في الفيلم إلي جانب ماسترويواني كل من أنيتا اكبرج, وأنوك ايميه في شخصيتين مميزتين, لتضيفا المزيد من الدفء, والإبداع داخل الإطار العام للفيلم.

في مشهدٍ من المشاهد، نجد ماسترويانى مندمجاً في الكتابة بينما يجلس بإحدي الكافيهات الصغيرة المطلة مباشرةً علي الشاطيء, وفي نفس الوقت تحاوره فتاة القهوة بشكلٍ فلسفي, وأنيق لتظهر له نفس الفتاة في نهاية الفيلم في مشهدٍ غريبٍ، يتلخص في وقوفه علي مسافة منها بينما تحاول أن تخبره بشيء ما، وتحد الأصوات العالية للأمواج من إمكانية ذلك، لينتهي الفيلم بشكلٍ غريبٍ, وعجيبٍ.

فيلليني مخرج بارع بكل تأكيد, وأيقونة إيطالية فريدة. ربما تجد قدراً من الضبابية في رؤيته السينمائية لكنه أمر صحي طالما أن هذه الضبابية لا تحد من وصول الفكرة, وفهم المضمون, وإدراك الإطار الكلي للحبكة.

بالطبع فيلم عظيم, ومؤثر بالرغم من قدمه, ومرور أكثر من ٥٨ عام علي إصداره. كما يمثل الفيلم علامة بارزة في تاريخ كل من فيلليني, وماسترويانى جنباً إلي جنبٍ مع تحفتهما الأخري "ثمانية ونصف".

في النهاية، قد يُؤخذ الفيلم بشكلٍ فلسفيٍ عميقٍ يتلخص في هبوط شخصية مارشيلو من الجنة إلي الجحيم. ويبدو أن الفتاة في المشهد الأخير تخبره بضرورة الرحيل معها لينقذ نفسه من أتون الجحيم. لكنه يرحل مع صحبته الشيطانية دون أن ينصت إليها، منساقاً وراء حالة اللامبالاة التي شملته منذ البداية. وكأنها الكوميديا الإلهية لدانتي لكن بشكل عكسي .

أيضاً في فيلم "بوابة الخلود", وبشكل فلسفي, وحكيم, يتناول المخرج الأمريكي جوليان شنابل قصة الرسام الهولندي الشهير فينسنت فان جوخ, والصراعات النفسية التي عاشها, وقضت عليه في النهاية. يُعد فان جوخ واحداً من أشهر الرسامين, وأكثرهم تأثيراً في تاريخ الفن الغربي بأكمله.

لقد نجح الرجل في الانتهاء من ٢١٠٠ عمل فني من بينهم ٨٦٠ لوحة زيتية خلال عقدٍ واحدٍ، مما يدفعنا إلي الإعجاب, والتصفيق بكل تأكيد. فقد حقق فان جوخ إنجازاً عظيماً بالرغم من صراعاته النفسية المتعددة, والعقبات الكثيرة التي وقفت في طريقه خلال أعوامه ال37.

يلعب ويليام دافو دور البطولة بشكلٍ رائع, وبالرغم من كبر سنه إلا أنه ينجح في تجسيد الشخصية, وإنجازها بشكلٍ لائقٍ. وفي نفس الوقت يقدم جوليان شنابل إخراجاً متواضعاً, ويعتمد بشكلٍ واضح علي كاميرا اليد في الكثير من المشاهد مالئاً كادراته بالكثير من المناظر الطبيعية الخلابة, والتي يعج بها الجنوب الفرنسي؛ ليقلل من التوتر الناجم عن الأجواء الاكتئابية التي تعايشها شخصية فان جوخ طوال الفيلم.

يركز شنابل علي الطبيعة, ويظهرها بشكلٍ واضح لأنها تمثل ركناً أساسياً في فن فان جوخ بل من الممكن أن نعدها القاعدة الرئيسية لأعماله الفنية الناجحة, والشهيرة.

يتغاضي فان جوخ عن آلامه، ويتجاهل مخاوفه، ويتخلص من العقبات التي تحول بينه, وبين سرمدية فنه. وها هو يقف علي بوابة الخلود، ها هو يتخلص من المادية المؤلمة، لتسمو أعماله الفنية وتتلألأ بينما تطأ قدماه أرض الخلود.

هنا يعرض الفيلم الفكر الفلسفي الخاص بفان جوخ, ويعبر عن أفكاره, ومشاعره, وطريقة رؤيته للأمور. بالطبع تتسلل الفلسفة إلي الفيلم بشكلٍ مباشرٍ أحياناً, وبشكلٍ غير مباشر أحياناً أخري, ليسرد شنابل في نهاية المطاف قصة فان جوخ واضعاً إياها في الإطار المرغوب.

من الأفلام الأخري التي تتبع النهج الفلسفي المعهود, فيلم "مكتوب" من إخراج عبد اللطيف كشيش, ومن بطولة أوفيلي بو, وشاهين بومدين, و الذي يلعب دور شاب باريسي عائد إلي بلدته الأم في جنوب فرنسا، ليقابل الكثير من أصدقائه القدامى بعد أن حال الزمان بينهم.

يلعب شاهين دور المصور, وكاتب السيناريو الطموح, والذي يسعي إلي تحقيق ذاته, والوصول إلي مبتغاه. يقابل أمين (شاهين) أوفيلي (أوفيلي) في بداية الفيلم لتتابع الأحداث بعدها بشكل سلس معتمد بصورة واضحة علي السيناريوهات المطولة, والأحاديث الممتدة بين الشباب.

يتنقل أمين بين الشواطئ, والبارات ليقابل أصدقاء الطفولة الواحد تلو الأخر، وليجد نفسه في حالة من البحث الدائم عن الإلهام, والعاطفة, والسعادة بينما يحيط به أصدقاؤه القدامى, وعائلته الدافئة. يأتي الإلهام في صورة الفتايات الكثيرات اللاتي يقابلهن خلال جولته الممتدة في ربوع بلدته الآسرة. كما تدور الكثير من الحوارات بينه, وبين صديقته أوفيلي, والتي يعزها بشكل خاص, ويعشق الحوارات معها.

هنا نجد الفيلم مبنياً بشكلٍ واضح علي الأحاديث بين الشباب, والحنين للماضي، كما يركز علي البراءة التي تُفقد مع الوقت لتذهب هباء الريح, ولتتبخر كما يتبخر الماء في عنان السماء.

نجد أمين مشتتاً بين الواقعية, والرومانسية، متواجداً متأملاً تارةً, وموجوداً متفاعلاً تارةً أخري. تلاعبه ذكريات الطفولة, ويباغته الواقع بمجرياته الطارئة.

يعتمد الفيلم علي الثرثرة, والحوارات الفارغة أحياناً كثيرة, وهو ما يندرج تحت مقصد كشيش, والذي يميل إلي التركيز علي الطبيعة النسوية كعادته ويقدم "بو" ضمن هذا الإطار بشكلٍ واضح.

الكثير من الشواطئ .. الكثير من الرقص .. الكثير من الحوارات المطولة .. مما يجلب إلي الأذهان ومضاتٍ سريعةٍ من أعمال إيريك رومر بكل تأكيد، ولكننا هنا أمام حالة من التأمل, والعفوية, والأحاديث غير المنمقة, وضبابية الفكرة مقارنةً برومر, وحتي مقارنةً بعمل كشيش السابق.

لا تتبلور الأحداث لتصل إلي شيءٍ معين, ولا نجد عقدةً أو ذروةً أو شيئاً من هذا القبيل، بل نجد حالةً من الانسيابية الكلامية المطولة لينتهي الفيلم بشكلٍ هاديءٍ وسلسٍ.

بالرغم من هشاشة السيناريو, والثرثرة التي لا طائل منها، إلا إن الفيلم ينجح في أمورٍ أخري من بينها التصوير المميز, والحماسية المفرطة, والموسيقي الجيدة.

كما ينجح في إبراز ممثلين جدد علي الساحة السينمائية, ويبرع في إظهار الحياة الفرنسية, والثقافة المصاحبة لها, والفلسفة المتعلقة بالشباب, والنهج الذي يتبعونه حينما يحاولون حل مشكلة ما من تلك المشاكل المتعلقة بأعمارهم في هذه الفترة.

هنا نجد فلسفةً خاصةً بهم, حيث يسمح كشيش للشباب بالتعبير عن أنفسهم, وعرض ذواتهم, ونقد الأمور المحيطة بهم, ليساعدهم في النهاية علي تكوين الشخصيات الخاصة بهم, والعمل علي تطويرها قدر المستطاع.

الفصل الرابع
السينما والموت

عندما نتحدث عن السينما, وعرضها لموضوع الموت, فلابد أن نذكر الفيلم السويدي "الختم السابع" للمخرج الشهير إنجمار برجمان, والذي يُعد واحداً من أهم الأفلام في تاريخ السينما العالمية.

يهتم الفيلم بعرض قصة أنطونيوس, وصراعه مع الموت الذي يلاحقه علي مدار الفيلم محاولاً النيل منه, ومتمثلاً في شخصية رجلٍ غامضٍ, وغريبٍ ليمثل الموت, والنهاية بالنسبة لشخصية أنطونيوس التائهة, والحائرة منذ بداية الفيلم, وحتي نهايته.

تسير أحداث الفيلم لتناقش انتشار مرض الطاعون بالتزامن مع الحوارات الممتدة, والتي يجريها أنطونيوس مع الشخص الممثل للموت, والذي يطارده دون هوادة.

تتابع الأحداث معتمدةً علي الحوارات الوجودية, والفلسفية العميقة, والتي من شأنها أن تطرح الكثير من الأسئلة عن الحياة, والموت, والوجود بشكل عام.

أيضاً يناقش الفيلم موضوع الموت, ويتعجب من الانتهاء المفاجئ لحياة الإنسان بعد الكثير من الصراعات التي يخوضها علي مدار الحياة. كما يناقش فكرة التلاشي, والاختفاء, ويركز علي كينونة الإنسان, وإحساسه بنفسه, وتلاشي هذا الإحساس مع الوقت ليشعر في النهاية بحجمه الحقيقي مقارنةً بحجم هذا الكون العملاق.

أيضاً من الممكن أن نضع فيلم "الرمادي" لليام نيسون كمحور أخر لنقاشنا حول السينما, وعلاقتها بموضوع الموت, حيث أن الفيلم يناقش الصراعات التي يواجهها عدد من العاملين بقطاع البترول بعد تحطم طائرتهم فوق سطح الجليد لتتابع الأحداث راصدةً موتهم الواحد تلو الأخر.

يناقش الفيلم فكرة البقاء, ومحاولات الإنسان توفير كل ما يلزم من أجل وجوده, وبقائه علي سطح الأرض, وحماية نفسه في مواجهة كل ما يمثل الخطر, والتهديد بالنسبة إليه.

يجرد الفيلم الخوف الإنساني, ويعمل علي تشريح فكرة الخوف الذي يكبل الإنسان, ويمنعه من المضي للأمام. كما يعرض الفيلم نضال الأفراد في تحدي الظروف, والبيئة, والطبيعة الشرسة, والتي تمثل اختباراً كبيراً للإنسان بطبيعة الحال.

يدعو الفيلم الإنسان إلي مواجهة مشاكله, والعمل علي حلها بدلاً من البقاء في المنطقة الرمادية, والتي لا تجلب سوي التذبذب, والتردد, والهلاك. حيث تمثل مواجهة الصراعات, والتحلي بالشجاعة الحل الأمثل للقضاء علي المشاكل النفسية, والتخلص منها, والحصول علي القيم الروحية المرغوبة, والوصول إلي الصفاء, والنقاء الروحي بكل تأكيد.

هنا نجد المواجهة الداخلية الكامنة في النفوس البشرية متمثلةً في الإطار الخارجي من خلال مواجهة أبطال العمل للذئاب المنتشرة في الغابات, والتي تعمل علي اصطيادهم الواحد تلو الأخر. لكننا أيضاً نشهد حالة من الشجاعة في مواجهة الموت, والعمل علي البقاء, ومقاومة الفناء من قبل كافة الشخصيات المشاركة في العمل السينمائي, لينتهي الفيلم بشكلٍ مفزع, وغريبٍ.

ننتقل إلي فيلم "رجل ميت" لجوني ديب, حيث يقدم المخرج جيم جارموش قصة "ويليام بليك", ورحلته إلي عالم الموتي, والأرواح حيث يعده من أجل هذه الرحلة صديقه المخلص "نوبادي", والذي يقوم بدوره جاري فارمر.

يبرع جارموش في تقديم رحلة بليك إلي العالم الروحاني, ويرصد عملية استعداده من أجل ذلك بشكلٍ بارع للغاية. كما تأخذ الحبكة من الموت موضوعاً رئيسياً للنقاش, والجدال حيث يتبادل بليك الحديث مع نوبادي

بشكلٍ مستمرٍ حول الموت, والعالم الأخر, والصراعات المهيمنة علي البشر جسدياً, وروحياً.

تتابع الأحداث الخاصة بالفيلم بشكلٍ سلسٍ, وانسيابيٍ لينتهي الفيلم بمشهدٍ ختاميٍ شديد البراعة حيث يرصد اللحظات الأخيرة في حياة ويليام بليك بينما يتجه إلي مصيره المحتوم المتمثل في الموت الذي لا مفر منه.

الفصل الخامس
السينما وفن الرواية

لقد حظيت الكثير من الروايات المهمة بفرصة الظهور عبر شاشات السينما من خلال عدد من المخرجين, والمنتجين المهتمين بذلك, والراغبين في تحقيق المزيد من الشهرة لهذه الأعمال الروائية الجذابة.

تواجه الكثير من المخاطر هذه العملية الفنية التي تتضمن تحويل الرواية إلي الفيلم لأنها بالطبع تقع في مواجهة شرسة مع القراء المتأثرين بالعمل, والمعجبين به, والساعين نحو رؤية عمل سينمائي يحمل قدراً عظيماً من الجودة بنفس القدر الذي تحمله الرواية.

بالطبع يحمل القراء تصوراتٍ معينة في أذهانهم بشأن الحبكة, كما يرغبون في رؤية هذه التصورات علي الشاشة بشكلٍ محددٍ مما يدفعهم إلي ممارسة الانتقاد الشرس بخصوص هذه الأعمال, ولكن في نفس الوقت إذا حصلوا علي عملٍ سينمائيٍ مميزٍ بنفس القدر الذي تتمتع به الرواية, فحينها يصفقون بشدة من أجل الفيلم, ويحملونه إلي قمة المجد.

في روايته "اسم الوردة" (المتحولة إلي فيلم), يحكي أمبرتو إيكو قصة الراهب غوليالمو, وتلميذه أدسو, ويتتبع رحلتهما إليّ دير غامض في شمال إيطاليا المظلم ليحضرا اجتماعاً هاماً قد دُعيا إليه.

بمجرد وصولهما إليّ الدير الغامض، يُطلب من غوليالمو الاستفادة من خبرته السابقة في محاكم التفتيش, والتحقيق في مقتل الراهب أدالمو آملين أن ينتهي من هذه القضية في أسرع وقتٍ ممكنٍ قبل حضور الوفد البابوي وانعقاد الاجتماع المنتظر.

للأسف الشديد لا يتوقف الأمر عند هذه الجريمة بل تُتبع بالعديد من الجرائم الأخري, والتي تؤدي بدورها إليّ مزيد من الحيرة, والمزيد من تعقد الأمور.

يكتب الراهب أدسو "وقد نالت منه الشيخوخة" كل ما شهده من أحداث عجيبة ورهيبة مع أستاذه الراهب غوليالمو في هذا الدير، تاركاً كتابته

علي رقٍ فريدٍ، ليتعرف الكثيرون فيما بعد علي تلك الأحداث الغريبة من خلال هذه المخطوطة العتيقة.

يعتمد إيكو علي الاهتمام بالتفاصيل, والإطالة في الوصف بشكلٍ واضح. كما يعتمد علي علم السيميائيات, وهو علم العلامات, والعمل علي تجميعها. فنشهد بشكلٍ واضح اعتماد غوليالمو علي العلامات والعمل علي تجميعها في حل القضايا المعروضة عليه. كما يستخدمها من أجل فهم الأمور, وتكوين صورة متكاملة عنها.

بالنسبة لاسم الرواية "اسم الوردة"، فإنه لم يعط تفسيراً واضحاً لهذا الاسم لكن قد يكون إشارة الي الفتاة مجهولة الاسم, والتي اتُهمت بالهرطقة في الرواية، فهي الوردة مجهولة الاسم, والتي أدت إليّ وقوع أدسو في الخطيئة, وتملك إحساس الندم منه, وسيطرته عليه حتي تخلص منه بعد فترة، وقد تكون إشارة واضحة إليّ حقيقة أن الوردة لم يبق منها سوي اسمها, واختفت كافة الأمور الجميلة التي كانت ترمز لها.

يقول إيكو في إحدي الصفحات، "كان رجال العهود الغابرة وسيمي الطلعة طويلي القامة (الآن أصبحوا أطفالا, وأقزاما)، وليس هذا إلا دليلاً من جملة أدلة أخري كثيرة، يشهد بتعاسة عالم يسير نحو الهرم. لم يعد الشباب يريد أن يتعلم شيئاً, وأصبح العلم في انحطاط، والعالم بأسره يسير رأساً علي عقب، عميان يقودون عميان آخرين إليّ الهاوية، الطيور ترمي بنفسها قبل أن تطير، والحمير تعزف القيثارة، والثيران ترقص، ومريم لم تعد تحب حياة التأمل, ومارتا لم تعد تحب الحياة النشيطة, وليا عاقر, وراحيل لها نظرة شهوانية, وكانون يتردد علي الماخور, ولوكراس يتحول إليّ أنثي. كل شيء حاد عن طريقه. والحمد لله أنني كنت قد تعلمت في ذلك الوقت من أستاذي حب المعرفة, ومفهوم الطريق القويم، الذي يبقي واضحاً حتي عندما يكون المسلك ملتوياً."

أشار البعض إليّ وجود تشابهات كثيرة بين رواية "اسم الوردة" لإيكو, ورواية "عزازيل" ليوسف زيدان لكن الحقيقة أن التشابه يكمن في فكرة

المخطوطة, والخوض في أمور الديانة المسيحية لا أكثر ولا أقل، فكل رواية لها طريقها الخاص, وقصتها المميزة.

بالنسبة للفيلم المعتمد علي هذه الرواية, والذي يحمل نفس العنوان, يلعب شون كونري دور غوليالمو (ويليام بالفيلم), بينما يلعب كريستيان سلاتر "صغيراً" دور أدسو.

يقدم الفيلم الأجزاء الرئيسيّة من الرواية بشكلٍ جيدٍ للغاية متجاهلاً بعض الأحداث بطبيعة الحال دون الإخلال بالقصة المحورية أو التأثير علي المجري المنطقي للأحداث. كما أنه من المعروف أن الفيلم من إخراج الفرنسي جان جواكس أنو معتمداً علي مشاركةٍ جماعيةٍ فيما يخص السيناريو.

يصور الفيلم الدير بكل ما فيه من أماكن شتي, وأشخاص متعددين. فيظهر المترجم اليوناني الذي لقي حتفه, والمسخ المتهم بالهرطقة, والفتاة المجهولة الفقيرة التي يشعر أدسو حيالها بالشفقة لاتهام محقق التفتيش لها بممارسة السحر, والشعوذة, والزندقة, وضرورة إعدامها، وغيرها من الشخصيات, والأماكن الهامة كالمكتبة الفريدة من نوعها.

يتجاهل الفيلم بشكلٍ واضح خيالاتٍ وأوهاماً ذُكرت في الرواية, واحتوت علي قدرٍ كبيرٍ من الفنتازيا كظهور هيدرة, وشياطين, وأمورٍ غرائبيةٍ أخري من هذا القبيل. ربما كان هذا الأمر حتمياً ليناسب الميزانية المتوسطة التي يعتمد عليها الفيلم.

في النهاية، يوضح إيكو في روايته الفلسفية صراعات تلك الفترة، ويتحدث عن حالات القتل الغريبة التي تحدث في هذا الدير. يروي أيضاً عن الشيطان, وخداعه, وعن حقيقة أن الإنسان هو من يستدعي شيطانه، لذلك وجب علي ابن آدم أن يتعلم كيفية الوصول إليّ الطريق القويم, والحفاظ عليه، وهذا ما يتحدث عنه أدسو كثيراً ناقلاً عن معلمه غوليالمو.

ننتقل إلي رواية ميلان كونديرا الأشهر, والتي تحمل عنوان "كائن لاتُحتمل خفته"؛ تلك الخفة التي يتعامل بها توماس مع الأمور، لا يأخذ شيئاً بمحمل الجد، يقلل من شأن كل شيء، ينتقل من علاقة إليّ أخري بشكلٍ عشوائيٍ دون أي اعتبارات.

يعمل توماس جراحاً بإحدى المستشفيات, ويشتهر بين أقرانه بكونه زير نساء من الدرجة الأولي، يتنقل عبر الأمور بخفةٍ شديدةٍ، خفة لا تتحملها تيريزا؛ المصورة الفوتوغرافية التي يتزوجها في نهاية المطاف.

رواية للتشيكي ميلان كونديرا، تعتمد بشكلٍ رئيسيٍ علي أربع شخصيات؛ توماس, وتيريز, وسابينا, وفرانز. حيث تدور الرواية حول توماس, وعلاقاته المتعددة مع الكثيرات من بينهن زوجته تيريزا, وعشيقته الفنانة سابينا, والتي تشتهر بقبعتها المميزة. أما البروفيسور فرانز، فإنه يمثل المحبوب المستقبلي لسابينا, والتي تتخلي عنه فيما بعد، بعدما يتخلي عن زوجته, وعائلته من أجلها.

تحاول تيريزا اختبار تلك الخفة التي يتكيف معها توماس من خلال مغامرةٍ عاطفيةٍ سريعةٍ، لكنها تفشل في تحقيق ذلك، إنها خفة لا تُحتمل، خفة لا تتقبلها تيريزا التي تسعي باستمرار نحو الاستقرار والاطمئنان.

فكلما حاول الإنسان أن يصبح خفيفاً, وأن يتخلص من كل المسئوليات التي تحيط به، أدت به هذه الخفة إليّ إحساسٍ غريبٍ بعدم وجوده, وشعوره بنقصٍ تجاه كينونته, وقيمته الوجودية.

في نهاية الرواية، يسافر توماس مع تيريزا إلي الريف، وهناك تمنحهما بساطة العيش, والتكرار المستمر للعادات سعادةً عميقةً لا تُوصف. بالطبع تُعد الرواية روايةً فلسفيةً عظيمةً وفريدةً للرائع كونديرا.

بالنسبة للفيلم, فهو من إخراج فيليب كوفمان, ومن بطولة دانيل داي لويس, وجوليت بينوش, ولينا أولين. حيث يقدم الفيلم القصة بشكلٍ واضحٍ للغاية؛

مهتماً بعرض الاضطرابات الكثيرة في حياة توماس, وعلاقاته المتعددة, ويركز علي علاقته الغريبة بتيريزا.

كما يعرض الشخصيات بعمقها, وصفاتها المميزة التي ذُكرت في الرواية. ويهتم الفيلم بعرض ملابسات الهجوم العسكري السوفيتي علي دولة التشيك, وصراعات هذه الفترة, والتنقلات المستمرة في حياة توماس, و تيريزا نتيجةً لذلك. في النهاية, تتوالي الأحداث الخاصة بالفيلم لتنتهي بشكلٍ هادئٍ, ومثمرٍ.

ننتقل بعد ذلك إلي رواية "صيف حار" للمؤلف الفرنسي سباستين جابريسو, والتي تم تحويلها إلي فيلمٍ سينمائيٍ مميزٍ في عام 1983 من إخراج المخرج الفرنسي جين بيكر.

في هذا الفيلم الفرنسي المميز، تلعب إيزابيل أدجاني دور الفتاة الغامضة التي تحل علي البلدة الصغيرة القابعة في جنوب فرنسا مع والدتها, ووالدها بينما تحيط بهم حالة من الغموض, والريبة.

تتابع الأحداث لتتزوج الفتاة من بن بون؛ الشاب الطيب المعروف بشكلٍ واسعٍ بين أبناء البلدة الصغيرة. تتوالي الكادرات السينمائية بشكلٍ سريعٍ راصدةً الأجواء المثيرة المحيطة بالفتاة منذ وصولها للمدينة. كما تتكشف الحقيقة في النهاية لتصبح الصورة جليةً للغاية, ولتظهر الكثير من التفاصيل الصغيرة كاشفةً حقيقة الفتاة, وكل ما يتعلق بها.

يقدم المخرج جان بيكر إخراجاً جيداً مصحوباً ببيئةٍ مفعمةٍ بالإثارة والتشويق، بينما يحيط فيلمه بجماليات الجنوب الفرنسي الآسر, والساحر، وفِي نفس الوقت تطل أدجاني علي الشاشة بحضورها المميز في حلةٍ مميزةٍ لاعبةً دور الفتاة الغريبة "إيلي" بشكل مميزٍ, وأنيقٍ. بينما يلعب آلان سوتشو دور "بن بون" ليضيف للشخصية الكثير, والكثير, وليخلق لها بعداً فنياً من طرازٍ فريدٍ.

تتبادل الكادرات بين الشخصيات بشكلٍ طبيعيٍ ومقنع للغاية. وتمثل العلاقة بين إيلي, ووالديها موضعاً حساساً, وهاماً ضمن الإطار العام للفيلم, والقوام الكلي للحبكة.

يعتمد المخرج علي عنصر التشويق بشكلٍ أساسيٍ كما ينجح في منح المشاهد المفاجأة بين الحين, والآخر ليزيد من حماسته مع كل كادر جديد.

في مركز الفيلم، ترقد القوة التمثيلية لأدجاني, والتي تجمع بين الإثارة, والأداء المميز في نفس الوقت، وهو الأمر الذي يصعب توافره مع الكثير, والكثير من الممثلات حول العالم عامةً, وأوروبا خاصةً.

بالطبع يستحق البناء التدريجي للأحداث, والتوتر الناجم عنها التصفيق, والإشادة. حيث تتحرك الأحداث ببطءٍ في البداية لتتوالي فيما بعد بشكل انسيابيٍ, ومناسبٍ, ولينتهي الفيلم بشكلٍ مقنع وجنونيٍ في نفس الوقت، ضمن إطار عام يعتمد في بنائه علي الدراما, وقليل من الفكاهة, والتي لا تعيق من التوتر الدرامي, ولا تقف كحاجز للصراع الناجم عن الحبكة الكلية للفيلم.

أيضاً من الأفلام المأخوذة عن رواياتٍ هامةٍ, فيلم "البرتقالة الآلية" حيث يقدم المخرج الأمريكي المخضرم ستانلي كيوبريك واحداً من أكثر الأفلام وحشيةً, وجنوناً في تاريخ السينما.

يعرض الفيلم العنف الشديد المصاحب لحياة الشباب متمثلاً في شخصية "أليكس"؛ الشاب العنيف, والذي يترأس عدداً من أصدقائه المتجولين في شوارع لندن, والناشرين للاضطراب, والفزع بين الناس في كل مكان تطأه أقدامهم.

تلقي الشرطة القبض علي أليكس في النهاية بعد أن يغدر به أصحابه ليقع بين أيدي رجال الشرطة, وليتم وضعه في نظام إصلاحي شامل ليتم إعادة

تأهيله, وعلاجه, وتخليصه من الشرور المسيطرة عليه, وليُطلق صراحه في النهاية.

يخضع أليكس لنظام تأهيل خاص لمحو الشرور المسيطرة عليه, وتقويمه, وتعليمه طريق الخير القويم. يخرج أليكس بعد المدة المحددة من قبل منظمة التأهيل, وتتقدم الأحداث بشكلٍ غريبٍ للغاية في إطار جنونيٍ, ومريبٍ.

في الحقيقة، يعاود أليكس التفكير في أمور الشر بأكملها من سرقة, ونهب, وقتل, وفسوق, وفجور، ليس هذا فحسب بل يبدأ في إعداد خطة جديدة لنشر العنف في الأرجاء.

بالنسبة للرواية، يراجع أليكس نفسه في الفصل الأخير ليتخلي عن خطته الجديدة, وليري أخطاءه, وليتخلص من نواياه السيئة التي عاودته من جديد.

أما بالنسبة للفيلم، فإنه يعتمد علي النسخة الأمريكية من الرواية, والتي حُذف منها الفصل الأخير لتنتهي الحبكة بشكل سوداوي.

فقد طلب الناشر الأمريكي من أنطوني برجس "الكاتب" حذف الفصل الأخير لأنه رأي أن الجمهور الأمريكي لن يتقبل لحظة التغير السلوكي التي راودت شخصية أليكس.

فلن يتقبل الجمهور فكرة تخليه عن شروره الداخلية, وعودته لطريق الخير, وكونه جزء فعال, ومثمر في المجتمع بعد كل هذه الفصول من نشر العنف, والفوضى في الأرجاء.

نضيف إلي كل هذه الأفلام المعتمدة علي رواياتٍ شهيرةٍ فيلم "حيوانات ليلية" الصادر في عام 2016, والمعتمد علي رواية "توني وسوزان" للكاتب الأمريكي أوستن رايت.

ففي عمله السينمائي الثاني، يقدم مصمم الأزياء, والمخرج الأمريكي توم فورد قصة سوزان مورو "إيمي آدامز"، السيدة الثرية, والمعروفة في أرقي الأوساط بحبها للفن, وحرصها علي عرضه في أبهي صوره من خلال معرضها الفني الكبير، والذي تتدافع عليه الحشود باستمرار للاستمتاع بالمعروضات الفنية المتنوعة الموجودة بداخله.

تتلقي سوزان من زوجها السابق إدوارد "جيك جلنهال" نسخةً أوليةً من أحدث رواياته, والتي ينوي طرحها للجمهور العام في أقرب فرصة ممكنة ليسألها عن رأيها في الرواية, وانطباعها الأول عنها,

تحمل الرواية عنوان "حيوانات ليلية", وتتحدث عن أحداثٍ وحشيةٍ تتعرض لها عائلة مسافرة من قبل مجموعة من قطاع الطرق المنتشرين في الأرجاء، لتتابع الكادرات بعد ذلك راصدةً محاولات الأب طوني "جلنهال" الانتقام منهم بعد اغتصابهم, وقتلهم لزوجته لورا "آيلا فيشر"، وإبنته إنديا "إيلي بامبر". ويساعده في ذلك الشرطي المحتضر "مايكل شانون" المسئول عن المنطقة موطن الأحداث.

تشرع سوزان في قراءة الرواية مباشرةً بعد مغادرة زوجها هتون مورو "أرمي هامر" المنزل, وتوجهه لتأدية بعض الأمور الخاصة بعمله في ولاية أخري.

تتأثر سوزان بالرواية بشدة, وتتفاعل مع أحداثها بشكلٍ غير عادي لتندمج بداخلها, ولتستدعي ذاكرتها الكثير من الذكريات المشتركة بينها, وبين إدوارد.

يعرض فورد فيلمه معتمداً علي اللقطات المتبادلة بين أحداث الرواية نفسها من جهة، والذكريات الجامعة بين سوزان, وإدوارد من جهةٍ أخري لينجح في النهاية في صنع فيلم سينمائي جيدٍ, ومميزٍ.

يقدم جلنهال أداءاً مميزاً، مدعوماً جنباً إلي جنب بالأداء الهادئ, والرائع لإيمي آدامز, والأداء الحماسي لشانون. وفِي نفس الوقت يقدم فورد إخراجاً جيداً معتمداً علي السيناريو المستمد من رواية أوستن رايت "توني وسوزان".

تتابع اللقطات السينمائية لينتهي الفيلم بمشهدٍ ختاميِ هادئٍ، مسبوقاً بمشاهدٍ حماسيةٍ, ومشتعلةٍ لينخفض بالنغمة الكلية للفيلم في نهاية المطاف مطفئاً نيران الانتقام، ومقدماً للحل الأمثل, والأفضل؛ ليضفي علي الحبكة المزيد من الإثارة, والتشويق.

الفصل السادس
السينما وفنون أخرى

يهتم السينمائيون بعرض الكثير من الفنون الأخري, والتي تتشابك مع ميولهم الفنية, وتتضافر معها. تكمل الفنون بعضها البعض لتخلق في النهاية كادراً فنياً عظيماً, وجذاباً.

من هذه الفنون فن الباليه, والذي يقدمه المخرج لوكا جواداجنينو ممزوجاً بالرعب في فيلم "ساسبيريا", حيث تتجه الأمريكية سوزي (داكوتا جونسون) إلي برلين لتدرس بإحدي أكاديميات الباليه المرموقة هناك.

تقابل سوزي الكثير من الطالبات الملتحقات بالأكاديمية، وتبدأ في التعرف عليهن لتتعرف لاحقاً علي طبيعة الأكاديمية, وحقيقتها. تلعب تيلدا سونتن أكثر من شخصية بشكل جيد، بينما تظهر موريتز في دور صغير كواحدة من طالبات الأكاديمية.

تقدم جونسون أداءاً جيداً مدعومةً بإخراج جيدٍ من جواداجنينو، بينما تتسلل إلي الفيلم لحظات عديدة من الاضطراب, والتوتر, والسوداوية, والظلام. تتعقد الأحداث في إطارٍ من الرعب, والتشويق، لتتفجر دوامات الشر المتتابعة, والتي تلحق برواد الأكاديمية مهلكةً إياهم الواحد تلو الآخر.

يفتك بهم الموت ويحاصرهم من كل جهة ليحيطهم بالفزع, والخوف, والهلاك. يستسلم الكثير منهم لهذا الكابوس المفزع، بينما تنجح البقية في النجاة والاستيقاظ.

نجد فن المسرح مقدماً عبر السينما من خلال فيلم "فينوس في الفراء" للمخرج الهام رومان بولانسكي, حيث يقدم فيلماً ذا طبيعة مختلفة مقارنةً بما قدم سابقاً.

تتناول الحبكة قصة ممثلة صاعدة, ومحاولاتها المستمرة لإقناع مخرج شهير بإسناد دورٍ لها في مسرحيته الجديدة "فينوس في الفراء".

يعتمد الفيلم علي مسرحية بنفس الاسم للكاتب الأمريكي ديفيد إيفيس, والتي ترتبط برواية مازوخ الشهيرة "فينوس في الفراء", والتي صدرت في عام ١٨٧٠ كجزء أول ضمن سلسلة مطولة.

يعرض الفيلم محاولات الممثلة المتكررة, وسعيها الدائم لإقناع المخرج بإدراجها ضمن فريق العمل. تظهر شخصية سينيه باستمرار في تجارب أداء تجمع بينها, وبين شخصية ماتيو، بينما يُعرض الفيلم بأكمله داخل مسرحٍ كبيرٍ ومضيءٍ.

يقع الرجل كفريسة بين يدي فينوس (إلهة الجمال عند اليونان) مسيطرة عليه بشكل كلي. وتنتهي شخصيته التي جُذب انتباهها في البداية إلي حالة من الهوس غير العادي, والجنون غير المبرر.

إخراج رائع من رومان بولانسكي، مدعوماً بأداءاتٍ حماسيةٍ من قبل سينيه, وماتيو. كما يتميز الفيلم بعملٍ جيدٍ فيما يخص الإضاءة، ويتضمن مجهوداً مثمراً وحماسياً للغاية.

بالنسبة لاهتمام السينما باللوحات الفنية, فمن الممكن أن نأخذ الفيلم الفرنسي "الشقراء عارية الصدر" كمثال واضح علي ذلك.

حيث يتناول الفيلم قصة أخين, وسعيهما لسرقة إحدي لوحات ادوارد مانيه الشهيرة من داخل أحد متاحف فرنسا, ومحاولتهما الحصول علي اللوحة دون أن تلتفت حارسة المتحف "روزالي" إلي ذلك, والتي تؤدي دورها فاهينا جيوكانتي.

يتمكن الأخ الصغير من الحصول علي اللوحة, لتلاحقه الفتاة محاولة استرجاعها, والقبض عليه لكنها تفشل في ذلك لتقع أسيرة بين أيديهما.

تتقدم أحداث الفيلم لتنشأ علاقة غريبة, وحالة من المناوشات بين الفتاة, والأخين لتتحالف معهما في النهاية, وتصبح جزءاً من أسرتهما الصغيرة, والتي تتنقل باستمرار علي مركبٍ صغيرٍ ماخرةً عباب النهر.

في الحقيقة، لا يمتلك الفيلم مستوي سينمائي عالي أو شيئاً من هذا القبيل لكنه فيلم خفيف قد يستمتع به المشاهد كجولة سريعة، متمثلة في أمورٍ كثيرةٍ من ضمنها الطبيعة الخلابة التي يهتم بها الفيلم, والتي تمثل جزءاً أصيلاً من عادات السينما الفرنسية, والتي اعتمدت دائما علي الطبيعة كعامل جوهري, وأساسي لبناء الفيلم السينمائي.

قد تشمل الجولة أيضاً الحديث عن لوحة مانيه الشهيرة "الشقراء عارية الصدر", والتي صدرت في عام ١٨٧٨, كجزء من الحركة الفنية الشهيرة المسماة بالانطباعية.

يأخذنا الفيلم للحديث عن اللوحة الفنية بشكلٍ شيقٍ, وجذابٍ ليعبر بنا إلي الفن الانطباعي, وكل ما يتعلق به من جمالٍ, ومتعةٍ. وليحلق بنا إلي أعالي السماء مازجاً الكثير من الأمور مع بعضها البعض, ليعطِ في النهاية كادراً فنياً جميلاً, وشيقاً.

الفصل السابع
السينما والصراع الداخلى

تهتم الكثير من الأفلام السينمائية بعرض الصراعات النفسية الداخلية المسيطرة علي البشر, والمؤثرة فيهم, والتي تنجم عن الصدمات, والمشاكل, والأزمات التي تسيطرعليهم في فترات حياتهم المختلفة, وخاصةً في فترة الطفولة, والتي تُعتبر المشكل الرئيسي لحيوات البشر المختلفة, والمتنوعة.

من الأفلام التي تظهر صراعات الإنسان, وحنينه إلي الماضي, فيلم "المواطن كين", حيث يُعد هذا الفيلم الكلاسيكي الهام الإنجاز الأكثر لمعاناً في تاريخ أورسون ويلز، كما يُعد العمل الفني الأكثر ارتباطاً به.

لقد كان تشارلز فوستر كين علي سرير الموت حينما لفظ آخر كلماته "روزباد" ليثير الغموض, والريبة حول هذه الكلمة, ولينتج عنها الكثير من المحاولات المتفانية من قبل مجموعة من الصحفيين, والمراسلين لفهم معناها, والتمعن في تاريخ الرجل الطويل, والمتقلب.

لقد وصل تشارلز فوستر كين إلي القمة مسيطراً علي عالم الصحافة, وباسطاً نفوذه علي كل ما يحيط به من مؤسساتٍ صحفيةٍ, واستديوهات, ومصانع.

لم يكتف الرجل بذلك بل انخرط في عالم التباهي, والتفاخر مشترياً الكثير من التحف الفنية الثمينة, والتماثيل الأوروبية العريقة بملايين الدولارات ليتباهي بها بين أقرانه, وأصدقائه.

بعد كل هذا المجد، هبط الرجل إلي القاع. بعد أن اكتسب كل شيء تمناه, وحاز كل أمر اشتهاه، فقد كل شيء، إنها طبيعة الحياة دون شك, والتي تتلخص في تمكن الفناء بعد تشبع الأذهان بوهم البقاء. لكن ما حقيقة الكلمة التي لفظها قبل أن يلتقط أنفاسه الأخيرة؟

تتوالي المشاهد وتُعرض الأحداث معتمدةً علي نمط "الفلاش باك" لتفصل الكثير, والكثير من اللحظات المثيرة في حياة الرجل, وليخبرنا المشهد الختامي الرائع بحقيقة كلمة "روزباد".

إنه المزلاج الخاص به في طفولته, والذي كان يمتطيه حينما جاءه الرجل الذي أُرسل معه بعيداً عن كولورادو بناءاً علي طلب من أمه، ليدرس, ويتعلم, ويحصل علي حياةٍ أفضل، بعد أن نال الوالدان نصيبهما من الثراء الناجم عّن مناجم الذهب بالولاية في تلك الفترة.

إن "روزباد" إشارة صريحة إلي أجواء الحب, والبراءة التي شملته في صغره, وافتقدها في كبره لتشبعه بالمادية, والوحشية, ومجابهته لشراسة الحياة. لقد تذكر الرجل, وهو علي فراشه ،ملتقطا أنفاسه الأخيرة، طفولته السعيدة, ومزلاجه الصغير, وحياته الدافئة التي نعم بها في صغره, وطفولته. والأمر سيان بالنسبة لكل إنسان، حيث تمثل الطفولة أجمل مرحلة في حياة الإنسان بكل تأكيد.

ننتقل إلي فيلم "لا رجوع فيه" الصادر في عام 2002, حيث يقدم المخرج الأرجنتيني جاسبار نو في هذا الفيلم الفرنسي مأساةً إنسانيةً صادمةً, وجريمةً خسيسةً؛ أُرتكبت في حق الفتاة الباريسية الجميلة أليكس, والتي تؤدي دورها مونيكا بيلوتشي، بينما يظهر معها في نفس الفيلم زوجها السابق فينسنت كاسل لاعباً شخصية ماركوس؛ صديقها الجديد.

يبدأ الفيلم بالنهاية, وينتهي بالبداية معتمداً علي نمط "التعاكس الزمني" بشكلٍ واضح. تتجول الجميلة أليكس مع صديقها الحالي ماركوس, وصديقها السابق بيير ليتنقلوا جميعاً بين البارات, والمطاعم المختلفة المنتشرة في أرجاء باريس.

تنقلب الأحداث رأساً علي عقب في ليلةٍ مفجعةٍ وحزينةٍ. فبعد الانتهاء من الحفل, وفِي طريق العودة، تُغتصب الفتاة, وتُضرب من قبل الجاني ليهرع لها صديقاها بينما تلم بهما حالة من الصدمة, والاضطراب.

يسعي كل من ماركوس, وبيير للانتقام, ويتعاونا معاً ليصلا إلي المغتصب في نهاية المطاف. يُعد الفيلم واحداً من أكثر الأفلام اضطراباً علي الإطلاق. وبأجواءٍ سوداويةٍ مظلمةٍ, وبأضواءٍ عشوائيةٍ حمراءٍ، يتلاعب جاسبر بالمشاهد ليضيف المزيد من الفزع, والاضطراب, والإثارة إلي الحبكة بشكل عام.

تقدم بيلوتشي أداءاً جيداً متأنقةً كعادتها، ويظهر إلي جانبها الفرنسي المتألق فنسنت كاسل بحركاته الحماسية المعهودة. بالطبع يركز الفيلم علي فكرة الانتقام سابراً أغوار تلك النفوس المنهكة, والتي انقلبت أوضاعها بين ليلة وضحاها. وفِي مشهد مفزع، يظهر رجل بشكلٍ فجائيٍ, وعشوائيٍ قائلاً لماركوس: "ما يحدث للآخرين، من الممكن أن يحدث لك أيضاً."

هنا نجد الصراع الداخلي في قمته متمثلاً في الشخصيات المنهكة, والتي عانت الكثير, والكثير علي مدار الأيام, والليالي. ولعلنا نجد المزيد من الصراع الداخلي متمثلاً في فيلم "التانجو الأخير في باريس", حيث يتناول المخرج الإيطالي برناردو برتلوتشي في هذا الفيلم المميز العلاقة الغريبة بين بول, وجان, والتي تقوم علي المتعة الحسية فقط بعد أن اشترط بول ذلك كما اشترط عدم ذكر اسم كل منهما للآخر.

في طريقها للعثور علي شقة تسكنها، تقابل جان (ماريا شنايدر) رجل الأعمال الأمريكي بول (مارلون براندو) المنغمس في حزنه الشخصي, وعالمه الانعزالي المليء بالاضطراب, والتردد.

لقد انتحرت زوجته مؤخراً بشكلٍ مفجع لتتركه أسيراً للحزن, والكآبة, ولتتسلل إليه الكثير من الذكريات مضيفةً إلي ذهنه المنهك الكثير من الاضطراب, والتشويش, والقلق.

يلعب مارلون براندو دور بول بمهارةٍ فائقةٍ. وبأسلوبيته العظيمة، يمنح الشخصية بعداً فنياً من الطراز الأول خالقاً شخصيةً مضطربةً من الدرجة الأولي.

لقد عانت شنايدر الكثير من الاضطراب بعد أدائها لدور جان حيث أنها قد تعرضت لقسوة النص, وإباحيته المفرطة, والتي أثرت عليها نفسياً فيما بعد.

يتخلص بول من اضطراباته الشخصية, وصراعاته الداخلية من خلال الجنس متخلياً عن الجزء العاطفي, ومتجاهلاً أهميته تماماً بعدما أظلمت روحه لفقدانه زوجته المنتحرة مؤخراً.

تندرج شخصية بول تحت بند الشخصيات السيكوباتية بكل تأكيد. وببراعة براندو، تحلق الشخصية في السماء بقوةٍ نابعةٍ من الأسلوبية في قمتها.

يقدم برتلوتشي إخراجاً بارعاً كعادته مدرجاً بعضاً من التفاصيل الشخصية من حياته, وحياة براندو إلي الفيلم. الفيلم من إخراجه, وكتابته, وقد قدم الفكرة الأولية له بنفسه, وعرضها علي براندو ليوافق الأخير مقدماً أداءاً من الطراز الرفيع.

أيضاً من الممكن أن نرصد الصراع الداخلي المتمثل في فيلم "الجمال العظيم" للمخرج الإيطالي باولو سورنتينو, ومن بطولة توني سرفيو, وسابرينا فريللي.

في هذا الفيلم الإيطالي العظيم، يرصد المخرج باولو سورنتينو الصدمة التي يتلقاها الصحفي اللامع "جيب جامبرديلا" حينما يبلغ عامه ال٦٥.

تقف روايته الناجحة الوحيدة خلف أهميته في المجتمع المثقف بروما، كما تُعتبر ركيزته الرئيسية, والتي تسمح له دائماً بحضور صالونات الثقافة المختلفة, وحلقات النقاش المميزة المنتشرة في أنحاء روما.

قد لا تُؤخذ الصدمة بالمعني الحرفي للكلمة، لكنها تتلخص في نظرته الفجائية لمجريات الأمور الخاصة بحياته, وفِي تأمله لأعوامه الماضية, وشبابه المنصرم. ينظر جامبرديلا للخلف ليتأمل عبثه الدائم طوال حياته المتمثل في حضوره للكثير من الحفلات, ولهوه في الكثير من البارات

بينما لم يتمكن سوي من تأليف رواية واحدة, والتي حالفه الحظ أن تكون مصدر جذب أنظار الجميع إليه طوال هذه السنين.

تتغير أولويات الرجل في هذا السن .. يسعي للهدوء, والراحة, والسلام النفسي .. لا يريد المزيد من المغامرات .. لا يريد سوي السكينة, والطمأنينة.

يقدم سورنتينو إخراجاً عظيماً للغاية مقتبساً الكثير, والكثير من المايسترو الإيطالي فيدريكو فيلليني, ومعتمداً علي موهبة توني سرفيو المميزة, وأداء سابرينا فريللي الجيد في خلق شخصياتٍ رائعةٍ, وعميقةٍ.

كما يعتمد سورنتينو علي إظهار جمال روما, ومناطقها الأثرية بشكل رئيسي طوال الفيلم. في النهاية، تتابع اللقطات الختامية للفيلم بشكلٍ أنيقٍ بينما يعتمد سورنتينو علي "الفويس أوفر" ناقلاً وجهة نظر, ورؤية الشخصية الرئيسية بالفيلم "جيب جامبرديلا", والتي عانت من أهوال الصراعات النفسية الدخلية العديدة, والقاسية.

الفصل الثامن
السينما ولغة الحوار

تمثل لغة الحوار السينمائي أمراً هاماً, وضرورياً لخلق فيلمٍ مميزٍ, وجذابٍ. حيث تعتمد الأفلام العظيمة علي حواراتٍ مميزةٍ, ودافئةٍ بكل تأكيد. كما يعمل السيناريو المُتقن علي خلق بيئةٍ حماسيةٍ, وشيقةٍ ليحصل المشاهد في النهاية علي جملٍ رنانةٍ, ومؤثرةٍ.

نجد السيناريو المميز, ولغة الحوار الجذابةً متمثلين في الكثير من الأفلام العالمية مثل فيلم "سينما باراديس" للمخرج جوزيبي تورناتوري. حيث يقدم هذا الفيلم الإيطالي الرائع رصداً بارعاً لذكريات مخرج سينمائي كبير, وحنينه لماضيه الدافيء.

يبدأ الفيلم بوصوله لمنزله الفخم، بينما يرد علي الهاتف الذي ظل يرن طويلاً، ليأتيه خبر وفاة ألفريدو, وليبدأ حينها في استرجاع ذكرياته المفعمة بالدفء, والحب, والحنان.

لقد كان محباً للسينما في صغره, وكان مهووساً بها, وقد رافق ألفريدو "البروجيكشنست" أثناء عمله كثيراً، بينما كان يعمل بدور العرض الشهير وقتها "سينما باراديس".

وقد عمل توتو "المخرج صاحب الذكريات" لفترةٍ طويلةٍ بدلاً من ألفريدو بعد أن أُصيب بإعاقةٍ جسيمةٍ جراء حريق بدور العرض، والذي جُدد بواسطة أحد رجال البلدة الأثرياء.

لقد نشأ بينهما علاقة مثمرة, ومفعمة بالدفء, والحنان, والصراع أحياناً. ولقد كان ألفريدو منقذاً له دائماً في الكثير من المواقف التي جمعت بينه, وبين أمه.

لقد عاد سالفاتوري دي فيتا "توتو" إليّ أمه في النهاية ليسير في جنازة ألفريدو, وليقابل كل الشخصيات التي ألفها في الماضي حينما كان طفلاً صغيراً.

حالة من النوستالجيا يرصدها المخرج تورناتوري ببراعةٍ فائقةٍ، بينما يغمر فيلمه بموسيقي خالدة للرائع موريكوني، مدعماً كادراته بأداءاتٍ جميلةٍ, وحركاتٍ أنيقةٍ.

لقد قدم تورناتوري هذا الفيلم في عام ١٩٨٨, وقد حقق نجاحاً كبيراً من خلاله، كما قدم في عام ٢٠٠٠ فيلم "مالينا" لمونيكا بيلوتشي محققاً نجاحاً آخر، ليصبح الفيلمان ركيزتين أساسيتين لكاريره الأنيق.

كثيرا ما استعان تورناتوري بموريكوني في أفلامه، ليقدما لنا أفلاماً أنيقةً مفعمةً ب"ساوندتراكس" شديدة البراعة, وقوية التأثير, وخالدة في الأذهان. فيلم بارع يستحق المشاهدة, والتأمل، وتجربة سينمائية ممتازة، قادرة علي دمج المشاهد مع الحبكة بجدارةٍ, ومهارةٍ فائقتين.

من الأفلام الأخري التي تبرع في استخدام لغة الحوار, فيلم "الليل" لأنطونيوني, حيث يتناول الفيلم يوماً في حياة الصحفي جيوفاني بونتانو, وزوجته ليديا, وتعتمد الحبكة علي فكرة "الخيانة" بشكلٍ رئيسيٍ, وما يصاحبها من تدهور العلاقة بينهما نتيجة لعدم إخلاصهما لبعضهما البعض.

يقدم أنطونيوني إخراجاً بارعاً مصحوباً بتصويرٍ متميزٍ للغاية بينما يبرع فريق التمثيل (ماسترويانى, ومورو, وفيتي) بشكلٍ غير عادي في تجسيد الشخصيات, وما يصاحبها من اضطرابٍ, وتوترٍ.

يبدأ الفيلم بزيارة جيوفاني, وزوجته لصديقهما العليل بإحدي المستشفيات لتتابع أحداث الفيلم, وتتوالي ضمن يوم واحد فقط.

في مشهد مطول، تسير ليديا في شوراع ميلانو بينما تغمرها حالة من التأمل, والتدبر, والتفكير في مجريات حياتها، ماثلةً في العديد من الكادرات الاستثنائية, والتي يلتقطها "فينانزو" بمهارةٍ فائقةٍ بتوجيه من "أنطونيوني" دون شك.

تظهر مونيكا فيتي في منتصف الفيلم مجسدةً شخصية فلانتينا, والتي تضفي المزيد من التعقيد للأجواء, وتشعل من فتيل الحبكة لتصل إلي الذروة, وتهدأ بعدها بمشهدٍ ختاميٍ مميزٍ جامعٍ لكل من مارسيلو ماسترويانى, وجان مورو في حديقةٍ شاسعةٍ لتظهر كلمة (النهاية), ولُيسدل الستار.

فيلم بارع عن زوجين خائنين, وإحساسهما بالذنب نتيجة لذلك, وسعيهما للاعتراف لبعضهما البعض، ليطلب كل منهما من الآخر العفو, والسماح في نهاية المطاف، ولتعود المياه إلي مجاريها في النهاية بعد الحصول علي الكثير, والكثير من الكلمات الرنانة, والحوارات الجذابة الدائرة بين الزوجين.

أيضاً, من الممكن أن نجد الكثير من الحوارات الشيقة متجسدةً في فيلم "طرطشة أكبر" للمخرج لوكا جواداجنينو. حيث يتناول الفيلم قصة روك ستار تدعي ماريان (تيلدا سونتن), وصديقها بول (ماتياس شونارتس), وعطلتهما معاً بعد أسابيع طويلةٍ من العمل الشاق، ليظهر صديقها السابق هاري (رالف فاينس), وإبنته بنلوبي (داكوتا جونسون) علي الساحة ليحدثا الكثير من الاضطراب, وليعكرا صفو النزهة.

تتعقد الأحداث, وتتابع في إطارٍ تشويقيٍ, ومثيرٍ لينتهي الفيلم بغرق هاري في المسبح بعد أن ساهم بول في ذلك. تنتهي الرحلة, وتعود بنلوبي إلي موطنها بينما يشرع بول, وماريان في الرحيل أيضا.

يخبر بول ماريان عن الحقيقة, وأنه قد أغرق هاري دون قصدٍ منه، وتقرر ماريان المضي قدماً, وعدم إخبار الشرطة. لينتهي الفيلم دون أن يُكشف عن أمر بول بعد أن تتعقد الأحداث في الكادرات الأخيرة للفيلم.

بالطبع شاهدنا أفكاراً مسبقةً شبيهةً لفكرة هذا الفيلم مثل الفيلم الفرنسي "حمام السباحة" لشارلوت رامبلنج, ولودفين ساجني. لكن يُعد فيلم "البسين" لآلان ديلون, وروومي شنايدر, وجين بركن الأساس لكل هذه الأفكار, ويندرج كل ما جاء من بعده تحت بند المقتبسات.

قد تبدو كلمتا "طرطشة أكبر" مألفوتين للكثيرين من محبي الفن, والرسم بالتحديد، حيث تحمل أشهر لوحات فنان البوب البريطاني ديفيد هوكني هذا الاسم.

ربما تدخل بعض لحظات الفيلم في إطار المبالغة التمثيلية, وهو ما يُؤخذ علي رالف فاينس أحياناً لكنها قد تُبرر ضمن سياقٍ آخرٍ، يتمثل في محاولة

فاينس إدراج قدر من الإثارة, والتشويق, والحركة ضمن الإطار العام للفيلم.

ننتقل بعد ذلك إلي الفيلم الفرنسي محكم السيناريو "تحت شمس الشيطان", والذي يتناول قصة راهب يدعي دونيسان (جيرارد ديباردیو), والصراعات التي يواجهها في عالمٍ مليءٍ بالشر, والأفعال الشيطانية.

ففي رحلته عبر الغابة، يقابل شيطاناً متجسداً في صورة إنسان، ليصيبه بالمزيد من الحيرة, والاضطراب. وفِي رحلةٍ أخري، يقابل دونيسان فتاة تدعي موشيتي (ساندرين بوني) لتخبره عن إردائها لصديقها بشكلٍ غريبٍ دون قصدٍ منها، لتنتهي قصة الفتاة بشكلٍ مآساوي هي الأخري.

تنشأ علاقة روحانية عجيبة بينه, وبين الفتاة الآثمة، لتنتهي بعد ذلك في إطارٍ مليءٍ بالريبة, والتشويق. يتحدث دونيسان كثيراً عن الشيطان, وشروره, وتأثيره علي البشر, وإغوائه لهم.

إنه يكمن بداخلهم, وينمو بإزدهار دون توقف، إذا سمحت له نفوسهم الضعيفة بذلك، وإذا لم يتحلوا بالقوة اللازمة لمجابهته, والتخلص من شروره, وإغواءاته.

الفيلم من إخراج موريس بيا، وقد رُشح لسيزار, وحصل علي السعفة الذهبية كأفضل فيلم سينمائي وقتها. ومن المعروف أن الفيلم مبني علي روايةٍ شهيرةٍ بنفس الاسم، كما أنه يتناول موضوعات الروحانية, واللاهوت, والعلمانية, والغموض, وعلاقة الإنسان بالإله بشكل رئيسي.

الجدير بالذكر أن الرئيس الفرنسي وقتها فرانسوا ميتران قد كرم كل صناع العمل, وأكد علي حيوية السينما الفرنسية, ودورها الفعال في تاريخ السينما بشكل عام.

بالطبع يأتي اهتمامه بالفيلم كنتيجة منطقية لحقيقة أنه قد قطع الغياب الطويل للفيلم الفرنسي بشكلٍ عام كفائز بجائزة السعفة الذهبية. فقد فاز فيلم فرنسي يدعي "رجل وامرأة" بالجائزة في عام ١٩٦٦، وها هو فيلم "تحت شمس الشيطان" يعيد الأمجاد بعد غياب قد تجاوز العقدين.

في النهاية, ينجح الفيلم في نسج العديد من الحوارات الشيقة, والجذابة. كما يبرع في خلق لغة مميزة للحوار معتمداً علي السيناريو البارع, والفكرة الأنيقة الخاصة بالعمل الفني.

الفصل التاسع
السينما والتوثيق

تعمل السينما علي توثيق الكثير من الأحداث, والإشارة إليها من خلال وسائلها المتعددة. كما يعتمد المنتجون علي الأفلام الوثائقية من أجل توثيق معلوماتِ محددةٍ, وقصصٍ شهيرةٍ. لكنهم قد يلجئون إلي الإنتاج السينمائي الكامل بغرض الانتشار, والوصول إلي أكبر عدد ممكن من المشاهدين خاصةً إذا كانت القصة أو الفكرة معروفتين علي نطاقٍ واسعٍ.

من الأحداث المؤثرة في المجتمع الأمريكي مقتل مغنيي الراب المعروفين توباك شاكور, وبيجي خلال العقد الأخير من القرن العشرين. ولقد تم توثيق هذه الأحداث عبر الكثير من الأفلام السينمائية, ليصدر مؤخراً فيلم جديد بعنوان "مدينة الأكاذيب", وليجسد هذه القصة, ومحاورها بشكلٍ ممتازٍ, وعظيمٍ.

يقدم المخرج براد فرمان الصراع المتعلق بمقتل كل من توباك شاكور, وبيجي، ومحاولات المحقق راسل بول "جوني ديب", والصحفي جاك جاكسون "فورست وايتكر" التوصل للمتسببين في مقتل مغنيي الراب المعروفين.

لا يتوقف الفيلم عند هذه النقطة فحسب، بل يرصد أيضاً الفساد القابع بين عدد من ضباط الشرطة العاملين بشرطة لوس أنجلوس. كما تعرض الحبكة عدداً من الحوادث العرضية القائمة بين البيض، والسود في تلك البلاد وقتها.

في عامه ال٢٥، قُتل مغني الراب الأمريكي توباك شاكور وسط أجواءٍ مليئةٍ بالاضطراب, والريبة، ليُقتل بعدها بيجي في عامه ال٢٤، ولتُفتح التحقيقات بكثرة حول القضيتين بشكل غير مسبوق لتُغلقا في النهاية دون الوصول إلي إجاباتٍ محددةٍ أو منطقيةٍ.

لقد عمل راسل بول علي التحقيقات الخاصة بمقتل بيجي كما عمل في الإطار الخاص بمقتل أحد الضباط علي يد ضابط آخر في أحد شوارع لوس أنجلوس لتتكاثر الأقاويل بعدها، ولتتابع التحقيقات دون الوصول إلي إجاباتٍ واضحةٍ أيضاً.

يهتم المخرج بعرض الفساد القابع في قسم شرطة لوس أنجلوس، كما يعرض الفضيحة الشهيرة الخاصة به، والتي شملت ٧٠ من ضباط الشرطة، لينتهي الأمر بإدانة بعضهم، وإيقاف البعض الآخر، ولتصبح هذه الفضيحة المعروفة "بفضيحة رامبرت" واحدةً من أكبر الفضائح في تاريخ الشرطة الأمريكية.

يركز الفيلم علي العلاقة المتطورة, والوطيدة بين راسل, وجاك، ويعرض المحاولات المتفانية من قبل كل منهما للوصول إلي الحقيقة بعد غلق القضية لفترة مطولة.

يقدم ديب أداءاً بارعاً للغاية مدعوماً بوايتكر، ونخبة جيدة من الممثلين، ومصحوباً بإخراجٍ جيدٍ من قبل فرمان. كما نلاحظ تعمد المخرج استخدام عدد محدد من الألوان، مدرجاً إياها بكادراته ليخلق للفيلم بيئةً محددةً ذات ملامحٍ خاصةٍ، وطابعٍ استثنائيٍ.

تنتهي الأحداث بموت راسل بول فجأةً أثناء وجوده في قسم الشرطة، ومناقشته لبعض من الأمور المتعلقة بتوباك وبيجي، ليحيط الضباب بالكادرات الأخيرة الخاصة بالفيلم، ولتُغلق القضية بشكل نهائي.

كما من الممكن أن نشهد عمليةً أخري من التوثيق السينمائي من خلال فيلم "نورث كانتري" لتشارليز ثيرون, وأمبر هيرد, والذي يهتم بمناقشة التحرش الجنسي, ويعمل علي توثيق أول واقعة تحرش جنسي في تاريخ المجتمع الأمريكي بشكلٍ بارعٍ, ومميزٍ.

تعمل عملية التوثيق علي نقل الأحداث الحقيقية, والمعروفة إلي الجمهور من خلال الوسيط السينمائي, والذي يعتمد علي الصورة, والصوت بشكل رئيسي, لينجح في نقل الفكرة بأفضل صورة ممكنة.

تُعد عملية التوثيق أمراً صعباً؛ لأنها تحتاج إلي تحري الدقة, والمهنية من أجل نقل الفكرة بالشكل الصحيح دون الإخلال بالمضمون أو التطرق إلي الفبركة, مما يدفع شركات الإنتاج إلي الإعداد الجيد لمثل هذه الأفلام, والتي تحظي بترقب الجمهور, والنقاد.

الفصل العاشر
السينما والعاطفة

لقد عملت السينما علي تجسيد الكثير من العواطف الإنسانية عبر تاريخها الممتد. ولقد نجحت بشكل رائع في نقل الكثير من المشاعر الإنسانية للجمهور العام من خلال الكثير من الأفلام السينمائية, والتي حققت النجاح علي مستويي الجمهور, والنقاد.

من الممكن أن نرصد الكثير من المشاعر الإنسانية في فيلم وودي ألان المعروف "فيكي كريستينا برشلونة", والذي يرصد بدوره العلاقات المتشابكة, والعواطف المضطربة, والمشاعر المتبادلة بين الشخصيات المُتضمنة في العمل السينمائي.

أيضاً من الممكن أن نحصل علي قدرٍ هائلٍ من المشاعر الإنسانية, والأفكار العاطفية من خلال فيلم "ليلي أفضل من نهارك", حيث يقدم المخرج الأوكراني زولاوسكي في هذا الفيلم الفرنسي العلاقة الغريبة بين لوكاس "المنهار جسدياً", و بلانشي "المنهارة أخلاقياً" معتمداً علي سيناريو مبسط, وحبكة مليئة بالاضطرابات.

يعتمد الفيلم بشكل واضح علي الحضور المميز للممثلة الفرنسية الجميلة صوفي مارسو, والتي نالت حظاً كبيراً من الشهرة في بلادها لفترة تجاوزت العقدين. حيث تلعب مارسو شخصية بلانشي، الفتاة الغامضة, والتي تخلت عن أخلاقها, ومبادئها من أجل شهرة زائفة ومال فانٍ.

في نفس الوقت، تقابل بلانشي لوكاس "جاكوس دوترونك"، الشاب المريض, والذي يفقد ذاكرته تدريجياً من جراء المرض الذي شُخص به مؤخراً، لتجمعهما في النهاية الكثير من الأيام, والليالي في أحد المنتجعات المميزة المطلة علي الشاطيء.

تضفي مارسو طابعاً فنياً خاصاً كعادتها بالتوازي مع دوترونك, والذي يظهر قدراً كبيراً من المعاناة أثناء تجسيده للدور,

في الحقيقة، من السهل أن يُصنف الفيلم بالفيلم العادي من أول مشاهدة, ومن قبل أي مشاهد لكن جماله يكمن في قدرة زولاوسكي علي خلق بيئة

جديدة, ومناسبة لاحتواء معاناة شخصيتين قابعتين علي حافة الهاوية, وبانتظار من ينتشلهما بعيداً عنها بحثاً عن الخلاص.

ننتقل بعد ذلك إلي الفيلم الإسباني "اربطني", حيث يقدم المخرج الشهير بدرو ألمودوبار قصة سيكوباتي غير متزن يدعي "ريكي", والعواقب التي تصاحب خروجه من إحدي المصحات النفسية, والتي قضي بها فترةً طويلةً، ليخرج أخيراً إلي الحياة الواقعية من جديد.

بعد خروجه، يبحث "ريكي" (أنطونيو باندیرس) عن صديقته السابقة "مارينا" (فيكتوريا أبريل) بعد أن تمكنت من التمثيل بأحد الأفلام القابعة تحت بند السينما الهابطة ليطاردها بشكل دائم, وليخطفها في نهاية المطاف.

يسيطر ريكي علي مارينا بشكل هوسي, ويحاول باستمرار أن يقنعها بضرورة الزواج منه, وكأنه قد غادر المصحة عن طريق الخطأ، دون التأكد من صلاحية عودته للحياة الطبيعية من جديد.

تتابع الأحداث في إطار هزلي وشيق، بينما يتألق ألمودوبار في الاهتمام بالألوان, والحصول علي كادرات مميزة من ممثليه.

يعمل الفيلم علي رصد العواطف المضطربة, والمتبادلة بين شخصيات العمل الفني, وينجح في عرض الاضطراب المسيطر علي شخصية "ريكي".

كما يعمل الفيلم علي إبراز الجوانب العاطفية المختلفة الكامنة في شخصيتي ريكي, ومارينا ليبرع في عرضها بشكل مميز, واستثنائي معتمداً علي الاختلاف الجذري بين الشخصيتين.

بالطبع، يمثل الفيلم خطوةً هامةً في مسيرة باندیرس وأبريل، كما يعد عملاً مقبولاً مقارنةً بباقي أعمال بدرو ألمودوبار، المخرج الإسباني الأكثر شعبيةً بعد المخضرم لويس بونويل.

أيضاً من الممكن أن نرصد "العنصر العاطفي" في الفيلم العظيم "سويني تود" الصادر في عام 2007, حيث يقدم المخرج الأمريكي الشهير تيم برتون جوني ديب, وهيلينا بونام كارتر في فيلمه الموسيقي "سويني تود" بشكل عظيم, وغير مسبوق.

وبموسيقي ستيفن سوندهايم، تتابع كادرات الفيلم بشكل متأنق كما تتقدم الأحداث, وتتوالي بشكل سلس, ورائع ضمن إخراج عظيم من برتون.

هنا يظهر ديب في واحد من أعظم أداءاته الفنية علي الإطلاق في دور "سويني تود"، والذي نُفي بعيداً عن زوجته من قبل قاضي المدينة "آلان ريكمان" ليحصل علي زوجته الجميلة لوسي.

يعود تود إلي البلدة من جديد، لكنه يحمل بداخله إصراراً غير مسبوق علي الانتقام, واسترداد زوجته العزيزة لوسي, وابنته الجميلة جوانا.

بالطبع يتناول الفيلم فكرة الانتقام, ويعرضها بشكل عميق, وعظيم. ومن خلال ملامح ديب المعبرة، يرصد برتون رغبة تود في الانتقام, واسترداد حقه المفقود.

كما يحيط برتون فيلمه بأجواء قوطية مظلمة, وكعادته يتلاعب بالمؤثرات الضوئية بشكل فاتن. لينجح الفيلم في رصد العواطف الكامنة في دواخل البشر بشكل أنيق, وجذاب.

حيث يرصد الفيلم عواطف تود الملتهبة تجاه زوجته, وابنته المختطفتين كما يظهر مشاعر الغضب, والكراهية, والتي يحملها تجاه قاضي المدينة الفاسد, والظالم.

تتوالي الكادرات السينمائية للفيلم ضمن بيئةٍ مليئةٍ بالعنف, والصراع, لتنتهي الأحداث في إطارٍ ملطخ بالفقد, والدماء. ولينجح برتون في عرض قصة "سويني تود" الشهيرة, والعتيقة في أفضل صورة سينمائية ممكنة.

في عام 1972, قدم المخرج إدوارد دمترك فيلم "ذو اللحية الزرقاء", حيث يظهر الممثل البريطاني ريتشارد برتون في دور "البارون النازي الكاره للنساء" بشكل متألق للغاية.

وبالرغم من بساطة الفيلم, وسهولة فكرته، إلا إنه يمتلك عدداً من اللحظات الآسرة, واللقطات الساحرة. كما ينجح في رصد العواطف المضطربة المهيمنة علي شخصية البارون, والمشاعر الإنسانية المسيطرة علي زوجاته العديدات.

أجواء مميزة أدت إلي تجربةٍ جيدةٍ مدعومةٍ بحضور مميز لكل من ريتشارد برتون, وجوي هيزرتون, وركويل ويلش بكل تأكيد.

يرصد الفيلم قصة الجنرال النازي "كرت فون سبر", وزيجاته المتعددة, وزوجاته اللاتي يقتلهن الواحدة تلو الأخري، بدافع سيكوباتي خفي يُكشف عنه الستار في النهاية من قبل زوجته الأخيرة "آن", والتي تؤدي دورها جوي هيزرتون.

يمنحها البارون فرصة مطولة حتي الفجر قبل أن يرديها كغيرها ممن سبقوها، بينما تنجح "آن" في استمالته, والحديث معه ليفضِ لها بالكثير, والكثير عن سنواته السابقة, وليسترجع الرجل ذكرياته بأكملها في إطار درامي متوهج.

ينتهي الفيلم بمقتل الجنرال النازي علي يد واحدٍ من اليهود، انتقاماً منه علي إبادته لأهله مسبقاً. كما تنجح "آن" في الهروب من قلعته في نهاية المطاف بينما تحضر جنازته المهيبة مبتسمةً, ومحاطةً بجنوده الحاملين لشارات الصليب المعقوف.

موسيقي رائعة من إينيو موريكوني، وإخراج جيد من دمترك، لتسود الفيلم حالة من الخوف, والترقب ضمن إطار عام مبني في أساسه علي ال"فلاشباكس", واستعادة الذكريات.

تصل الأمور إلي الذروة في النهاية بشكل هزلي, وعجيب, وغريب، بينما يلقي الجنرال حتفه ليسقط صريعاً بين رجاله الكثيرين, والذين عجزوا عن إبعاد ضربة القدر الحتمية الموجهة له.

مشاعر إنسانية, وعواطف مضطربة يرصدها دمترك بشكل جيد ليعبر عن شخصية البارون المضطربة, والمليئة بالأسرار, والتي يُكشف عنها الستار في نهاية المطاف.

في عام 1980, قدم المخرج الشهير فرانسوا تروفو فيلم "المترو الأخير", والذي يهتم بعرض العواطف المضطربة المُجسدة من قبل شخصيات العمل خلال عام 1942, حيث تأخذ الأحداث من باريس المحتلة وقتها موطناً, ومكاناً لها.

في هذا الفيلم, ينبغي علي الممثلة المسرحية ماريون ستاينر الاحتفاظ بزوجها اليهودي لوكاس ستاينر في القبو السفلي للمسرح الخاص بهما خوفاً عليه من بطش النازيين. وفِي نفس الوقت تسعي ماريون للحفاظ علي نشاط المسرح, وعدم إغلاقه.

تستعين ماريون ببرنارد ليساعدها في إدارة المسرح, وإخراج الأعمال المسرحية المتعددة التي تُعرض بداخله طوال الأسبوع. هنا تتوالي الأحداث في إطار هاديء, وسلس متناولاً الكثير من التفاصيل الخاصة بعلاقة ماريون بزوجها لوكاس، وفِي نفس الوقت العلاقة الناشئة بينها وبين برنارد، المسرحي الذي وطأت قدماه أرض المسرح مؤخراً.

ينتهي الفيلم بهزيمة ألمانيا, وطرد النازيين، وخروج لوكاس إلي العلن ليستمتع بعروض مسرحه المختلفة دون أن ينتابه أي خوف أو قلق.

هنا يقدم تروفو فيلماً رائعاً مصحوباً بأداءاتٍ مميزةٍ من كاترين دونوف, وجيرارد ديباردیو وباقي الفريق بكل تأكيد. ويُعد هذا الفيلم عملاً مضيئاً بين أعمال الربع الأخير الخاصة بكارير فرانسوا تروفو دون شك.

تظهر كاترين دونوف أيضاً في فيلم أخر مفعم بالعواطف, والمشاعر الإنسانية؛ يُدعي "تريستانا" للمخرج السريالي البارع لويس بونويل.

حيث يتمحور الفيلم حول العلاقة بين تريستانا "الفتاة العفيفة", والدون المنافق القائم علي رعايتها بعد وفاة أمها.

يلعب فرناندو راي دور "الدون لوب", ويعرض التناقض, والنفاق المتعلقين بالشخصية بشكل رائع. أما دونوف، فإنها تنجح في تجسيد الشخصية بشكل بارع للغاية, لتنجح في إبهار المشاهدين, والنقاد علي السواء.

يعرض الفيلم تطورات العلاقة بين "تريستانا", والدون لوب الذي يستغلها فيما بعد، سامحاً لطبيعته الشيطانية بأن تتحرر, وتنطلق.

تخبره تريستانا عن تناقضه, ونفاقه، وتتعجب من كلامه عن الشرف, والأخلاق. هنا تخالف أفعاله أقواله، وتنافي تصرفاته دعواته للحفاظ علي الشرف, والعفة, والطريق المستقيم.

الإنسان كائن متناقض دون شك. كائن مبني علي التناقض, ولابد أن يُصاب بدرجاتٍ من الخلل النفسي من جراء ذلك، لكن الدون لوب لا يظهر هذا التناقص فحسب بل تُصنف تصرفاته تحت بند "التطرف الصارخ".

هنا ينجح بونويل في إظهار الصراعات العاطفية الناجمة عن هذا التناقض, كما يبرع في تجسيد التغير العاطفي التام المتجسد في رؤية شخصية تريستانا لشخصية الدون لوب, حيث تتغير وجهة نظرها تجاهه, ولا يتوقف الأمر عند هذه النقطة فحسب بل يمتد ليشمل سلوكياتها, وأفعالها أيضاً.

من الممكن أن نرصد العواطف الإنسانية بشكلٍ أكثر اختلافاً في الفيلم الفرنسي "اليتيمة" من بطولة أديل هني, وأديل اكزاركوبولوس, وجيما أرترتون.

حيث يحكي الفيلم قصة فتاة تسافر إلي باريس هاربةً من ماضيها السيء, والكارثي. كما يعرض قصصاً عديدةً لفتياتٍ يعشن حيواتٍ مفعمةً بالتهور, والصراع, والبحث عن الحرية في أسمي صورها.

تؤدي "هني" شخصية "رينيه", والتي تعمل كمعلمة في إحدي المدارس بعد أن وصلت إلي باريس هاربةً من ماضيها السيء، لتظهر لها تارا "ارترتون" محدثةً الكثير من الارتباك في حياتها الجديدة, والمستقرة.

في نفس الوقت يعرض الفيلم قصصاً أخري بشكل متوازي، مثل قصة ساندرا (اكزاركوبولوس)؛ الفتاة المتهورة, والتي تندمج باستمرار في الكثير من العلاقات العاطفية السطحية, لتنتهي أغلبها بالفشل.

كما تظهر شخصية مضطربة أخري تُدعي "كارين", والتي تعاني من عنف والدها بشكل مآساوي, ومؤسف ليلاحقها في الكثير من المشاهد محدثاً لها الكثير من الاضطراب النفسي, والذهني.

عندما نحلل كل هذه القصص، يمكن أن نصل إلي أمرٍ واضحٍ, وحاسمٍ حول فكرة الفيلم الرئيسية, والتي تتلخص في حقيقة سعي الروح إلي نبذ المخاوف, والوقوف علي أرض الحرية بصمودٍ, وإراداةٍ غير مسبوقين.

هنا يظهر الفيلم التغيرات العاطفية المصاحبة لحيوات هذه الفتيات؛ ليعرضها ضمن إطار مفعم بالاضطراب, والصراع. ولينجح عبر كادراته المتلاحقة في نقل معاناتهن بشكل مميز, وجذاب.

في الفيلم الوثائقي "انصت إلي, مارلون", يعرض المخرج ستيفان رايلي الكثير, والكثير عن حياة الممثل الأيقوني مارلون براندو متناولاً العديد من الموضوعات الشائكة في حياته, والاضطرابات العاطفية المسيطرة علي تجربته الفنية, والشخصية.

كما يتناول الفيلم بداية براندو بالسينما, وتطور كاريره, ووصوله للقمة محققاً الكثير من النجاحات, والإخفاقات علي مدار تاريخه كأي ممثل آخر.

لكنه يتميز عن الآخرين في حقيقة أنه من نقل الأسلوبية إليّ السينما، وأحدث طفرةً كبيرةً في عالم التمثيل جالباً المزيد من الواقعية إلي الشاشة, ونابذاً الكلاسيكية التي قد صارت هشةً ومملةً وقتها.

يتميز براندو أيضا بأنه قد قدم أداءاتٍ لا مثيل لها في أفلام مثل الأب الروحي, والتانجو الأخير في باريس, والقيامة الآن, وعلي الواجهة البحرية, وغيرها من الأداءات التي تُصنف ضمن أعظم الأداءات في تاريخ السينما. كما يصنف الكثير من النقاد براندو كالممثل الأعظم في التاريخ, ويُصنف دوره بالعراب كالأهم, والأكثر إبهارا.

يتناول الفيلم مراحل النجاح, والإخفاق علي السواء, ويعرض الأضواء التي سُلطت عليه حين عُرض فيلمه "علي الواجهة البحرية", ليحقق نجاحاً كبيراً, وهاماً.

يتناول الفيلم مراحل الركود في تاريخه, والأدوار التي أعادته إلي الأضواء من جديد مثل دون فيتو كورليوني في "الأب الروحي" دون شك.

كما يتحدث عن المآسي, والمسرات في حياة براندو, وعن حبه لتاهيتي, وكونها المكان الذي عشقه, وملجأه الدائم للهروب من صراعات المجتمع المعقد, والممل.

يتحدث الفيلم عن مناصرته للهنود الحمر, وعن احتقاره للكثير من الأوهام المسيطرة علي عقل الإنسان. ففي أحد المشاهد، نجد كادراً لبراندو بتاهيتي, جالساً علي الرمل في مقدمة الشاطيء، قائلا " أحيانا أنظر إلي البحر, وأتعجب من أهمية أفعال الإنسان التي قام بها, أو لم يقم بها, وأتساءل إذا كانت أكثر أهمية من حفنة الرمال الموجودة أسفلي."

الفيلم مبني علي لقطاتٍ حيةٍ للكثير من الأمور المتعلقة بحياة براندو, و الكثير من التسجيلات الصوتية التي كان يسجلها طوال حياته من ضمن آلاف التسجيلات الآخري التي سجلها باستمرار, لينجح رايلي في نهاية المطاف في عرض التأرجحات العاطفية, والفكرية المتعددة, والتي سيطرت علي حياة الفنان الهوليودي المخضرم .. مارلون براندو.

هكذا نكون قد قدمنا دراسة فنية حول السينما, وعلاقتها بالكثير من الموضوعات المحورية, والهامة, والتي تثير ذهن القارئ المحب للسينما, والشغوف بها. كما نكون قد قدمنا الكثير من الأفكار الإنسانية, والآراء الفلسفية, والتي عمل الإنسان علي توثيقها, ونقلها عبر الفن السينمائي بشكلٍ مستمرٍ, وفعال؛ لنقدم لك في النهاية, عزيزي القارئ, كتاباً سينمائياً, وفلسفياً شاملاً.